شرح نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

من الدرس ١ إلى الدرس ٢

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٦/١٧ هـ

الدرس الأول

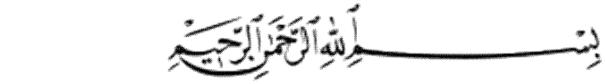

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

قال الإمام الأوّاب شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشّارح والسّامعين في رسالته «نواقض الإسلام»:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ: الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢] ، وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ

****

هذه رسالة قيّمة ونافعة ومفيدة جدًّا ويحتاج إليها كلُّ مسلم، ألّفها شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى في بيان نواقض الإسلام؛ أي: بيان الأمور الّتي ينتقض بها الإسلام وتنحلّ بها عُراه، وينتقل بها فاعلُها من ملّة الإسلام، ويخرج من حظيرة الدّين، ويكون بها كافرًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربّ العالمين، مستحقًّا عذابه الشّديد ونكاله الأليم، وخلوده في نار جهنّم يوم القيامة، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الكفّار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[فاطر:٣٦].

ونواقض الإسلام: «النّواقض» جمع ناقض؛ وهو حَلُّ وإفساد ما قام من بناءٍ أو انعقد من حبلٍ أو نحو ذلك، يقال: "نقَض البناء" أي أفسده وهدمه، ويقال: "نقَض الحبل" أي حلّه وفكّ فَتْله ، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[النّحل:٩٢] ؛ فنَقْضُ الغزل إفساده، ونَقْضُ البناء إفساده، ونَقْضُ الدّين إفساده. فـ«نواقض الإسلام» أي: الأمور الّتي تفسد الدّين وتبطل الدّين، مثل ما تسمّى الأمور الّتي تفسد الوضوء وتفسد الطّهارة «نواقض» كما هو مبيَّن في كتب الأحكام؛ «نواقض الوضوء» أي: الأمور الّتي ينتقض بها الوضوء أي: يَفْسد، وهي معروفة .

فـ«نواقض الإسلام» أي الأمور الّتي يفسد بها الإسلام، وإذا وُجِدت في الإنسان لم ينتفع بعمل، ولم يستفد من طاعة، لأنّها تُحبط الأعمال وتُبطلها وتفسدها، ولهذا كما أنّ الصّلاة بغير طهارة لا تصحّ لأنّ انتقاض الوضوء أو

عدم وجوده لا تصحّ الصّلاة بذلك، فكذلك وجود نواقض الإسلام لا يصحّ الإسلام بوجودها، بل لا يصحّ إلّا بانتفائها لأنّها ناقضة له أي مفسدة ومبطلة له، فإذا وُجِدت نواقض الإسلام أو شيء منها لم يستفد الإنسان من صلاة ولم يستفد من صيام ولم يستفد من حجّ ولم يستفد من أيّ عمل لأنّها تنقض الدّين. والسّلف رحمهم الله تعالى قديما سمّوا نواقض الإسلام ونواقض الدّين بهذا الاسم، كما جاء عن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّه قال: «تُنْقَض عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهليّة»، وكما جاء عن ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنّه قال: «الإيمان بالقدر نظام التّوحيد؛ فمن وحّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه» ، فسمّى الأمور الّتي تنقل من الملّة نواقضًا قال: «نقض تكذيبُه توحيدَه» ، والتّكذيب بالقدر ناقل من الملّة فسمّاه ناقضا للتّوحيد أي مفسدًا له ومبطلًا له.

وإذا فسد التّوحيد بالنّواقض وبطل لم يُقبَل من العبد عمل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[المائدة:٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزّمر:٦٥ - ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[التوبة: ٥٤] ، فالكفر الّذي هو النّاقض للدّين مانع من قبول الأعمال ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ النّفقات عملٌ صالح، لكن وجود الكفر بالله وبرسوله ناقض للدّين فيفسُد العمل ويبطل . وكما أنّ صلاة المصلّي بدون طهارة لا تُقبَل فأعماله الصّالحة بدون التّوحيد لا تُقبَل، كما أنّ الطّهارة أساسٌ لقبول الصّلاة فكذلك التّوحيد أساسٌ لقبول الأعمال، فإذا انتقض توحيدُ المرء بطلت أعماله وفسدت، ولأجل هذا سمّى أهل العلم الأمور الّتي تُخْرِج المرءَ من الملّة وتنقله من الدّين «نواقض» ؛ لأنّ الدّين ينتقض بها ويفسد.

ومعرفة نواقض الإسلام أمر مهمّ للغاية، يحتاج المسلم حاجة ماسّة لأنْ يكون على معرفة بنواقض الإسلام ؛ لأنّ المسلم كما أنّه مطالب بمعرفة الحقّ ليفعله وليكون من أهله، فهو كذلك مطالبٌ بمعرفة الباطل والشّرّ ليتّقيه وليحذر أن يكون من أهله، فإنّ في معرفة الشّرّ تحذيرًا منه وتحذيرًا من باطله، ولهذا قال القائل قديما:

عرفتُ الشّرّ لا للشّرّ ولكن لتوقّيه فإن من لم يعرف الشّرّ من النّاس يقع فيه

الّذي لا يعرف الشّرّ يقع في الشّرّ، ودعاة الباطل يدخلون عليه ويزيّنون له الشّرّ ويزيّنون له الباطل، لكنّه إذا عرف الشّرّ وخطره وضرره، وعرف الأدلّة الّتي تدلّ على خطورته، وعرف عواقبه، أصبحت هذه المعرفة بإذن الله سدًّا منيعًا من دخول الباطل عليه، أمّا إذا كان لا معرفة له بالشّرّ ولا معرفة له بخطورته فإنّ هذا مدعاة لدخول الباطل عليه، وقد قيل قديما: "كيف يتّقي من لا يدري ما يتّقي" أي: كيف يتّقي الشّرّ، كيف يتّقي الخطر، كيف يتّقي الضّرّ من لا يعرفه!! أساسُ الاتّقاء معرفة ما يُتّقى، إذا كان الإنسان لا يعرف ما الّذي يتّقيه، إذا قيل له: ما

الشّرك ؟ قال: ما أدري، وإذا قيل: ما الرّبا ؟ قال: ما أدري، وإذا قيل: ما النّفاق ؟ قال: ما أدري، إذًا كيف يتّقيها ؟!!كيف يتحاشى من الوقوع فيها ؟!! ولاسيّما أنّ هناك أئمّة ضلال ودعاة باطل يزيّنون للنّاس الباطل ويلْبِسون الحقّ ويكتمونه وقد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ)) أي: أئمّة الضّلال ودعاة الباطل الّذين يزيّنون للنّاس البدع والضّلالات والشّركيّات والكفريّات، ويُخفون عنهم الحقّ والهدى والنّور المبين الثّابت عن الرّسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قد جاء عن الصّحابيّ الجليل حذيفة بن اليمان كما في صحيح البخاريّ قال: «كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافته» أي أسأله عن الشّرّ، أَعْرِفُ الشّرّ خوفًا من الشّرّ، فإذا عرف الإنسان الشّرّ وعرف خطورته وعرف عواقبه في دنياه وأخراه كانت هذه المعرفة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حائلًا بينه وبين الوقوع في الشّرّ، وكانت هذه المعرفة أيضا معينةً له على تحذير غيره من الشّرّ، وأن يكون جامعًا في نصحه للعباد بين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، ومن لا يعرف المنكر كيف ينتهي عنه؟! وكيف أيضا ينهى غيره عنه؟! وكيف يحذّر غيره منه؟!

وأعظم ذنب عُصِيَ الله به وأعظم المحرّمات الشّرك بالله، وكيف ينهى الإنسان عن الشّرك وهو لا يدري ما هو؟! وكيف يحذّر ولده من الشّرك وهو لا يدري ما هو ؟! وفي وصيّة لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] ، فإذا عمل عامل بهذه الوصيّة وقال لابنه: يا بنيّ لا تُشرك بالله، وقال له ابنه: ما الشِّرك؟ وما هي خطورة الشّرك؟ وما هي مضرّة الشّرك؟ وكيف يكون اتّقاء الشّرك؟ وهو لا يعرف جوابًا على ذلك، كيف تستقيم منه النّصيحة وكيف يستقيم منه البيان ؟!

ولهذا فإنّ معرفة هذه الأمور عظيمة الأهمّيّة، والحاجة إليها ماسّة، وفي زماننا هذا يتأكّد هذا الأمر بشكل أكبر؛ لأنّ وسائل المعرفة ووسائل الاتّصال اتّسعت وكثرت في زماننا، وأصبح لدعاة الباطل منافذ كثيرة على عقول النّاس ومداخل عديدة، فأثاروا الشّبهات وزيّنوا الباطل وحَرَفُوا النّاس عن دين الله وعن الحقّ والهدى المستمَّد من كتاب الله وسنّة رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ولهذا أقول مؤكّدًا: ينبغي علينا دراسة مثل هذه الرّسالة النّافعة «نواقض الإسلام» بأناة ودقّة وحُسْن فهْم بنيّة اتّقاء هذه النّواقض واجتنابها والبُعد عنها، وتحذير النّاس منها ومن الوُقوع فيها.

وكما أنّه مطلوبٌ من المسلم معرفة نواقض الإسلام الّتي تُفسد الدّين من أساسه ليتّقيها، فإنّه كذلك مطلوبٌ منه أن يعرف كبائر الإثم وعظائم الذّنوب، سواء منها ما كان ناقضًا للإسلام أو مُنقصًا لكماله الواجب ؛ لأنّ الإسلام له نواقض ، وله نواقص ، «النّواقض» تفسده من أساسه وتقدح في أصله، و«النّواقص» تقدح في كمال الإيمان الواجب وتُنقص دين الشّخص وتضعف إيمانه ، وكُلٌّ من «النّواقض» و«النّواقص» مطلوب معرفتها

لاتّقائها، وأنصح في هٰذا المقام بقراءة كتاب «الكبائر» للإمام الذّهبيّ رحمه الله تعالى ، وكتاب «الكبائر» لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى ؛ فهٰذان الكتابان في غاية النّفع في هذا الباب؛ التّحذير من نواقض الدّين ومن نواقصه، التّحذير من مبطلات هذا الدّين ، والتّحذير من الأمور الّتي تنقص كمال هذا الدّين الواجب ، فيكون العبد بهٰذه المعرفة سلك سبيلًا واتّخذ وسيلةً تنفعه غاية النّفع باتّقاء هذه الأمور واجتناب هذه العظائم والكبائر.

وقد تنوّعت بيانات النّبيّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وطرائق توجيهه في تحذير الأمّة من هٰذه العظائم، وإيضاحه لخطرها الجسيم ومغبّتها الأليمة على أهلها وأربابها ؛ كقوله في حديث ابن مسعود: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُرَدِّدها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)) أشفقوا عليه صلوات الله وسلامه عليه ؛ هٰذا من تمام نصحه وبيانه لأمّته . وفي حجّة الوداع خطب النّاس وقال في خطبته صلّى الله عليه وسلّم: ((أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ)) يعني موبقات مهلكات يجب اتّقاؤها واجتنابها ((أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا)) ؛ حذّر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في جموع الحجيج من هٰذه الكبائر ونهى عنها، أمامه الجموع فيحذّرهم من الكبائر: لا تشركوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا تقتلوا «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ» أي أكبر الكبائر، والله يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] بدأ بالإشراك في بيان المحرّمات؛ مِمّا يدلّ على أنّ الشّرك بالله عزّ وجلّ أعظم المحرّمات وأكبر الموبقات، وأظلم الظّلم، وأشدّ الجرائم وأفظعها.

فالشّاهد أنّ معرفة نواقض الإسلام -أي الأمور الّتي تبطل الدّين- وكذلك معرفة النّواقص أمرٌ مطلوب من كلّ مسلم، لا يكفي أن تعرف الحقّ، بل لا بدّ من معرفة الشّرّ لاتّقائه، وعندما نقول لا بدّ من معرفة الشّرّ نعني بذلك معرفة الشّرّ في ضوء الآيات والأحاديث، لا أن يذهب الإنسان إلى كتب أهل الباطل وكتب أهل الشّرّ فيقرأ فيها ليعرف الشّرّ، هذا من وسائل الانحراف ووسائل الضّلال، لا تُقرَأ كتب أهل الباطل ولا تُقرَأ كتب دعاة الضّلال، بل يُحْذَر منها أشدّ الحذر، مثلما يحذر الإنسان من الآفات العظيمة والأمور الْمُعْطِبة يُحذَر من كتب أهل الباطل، وإنّما المراد بمعرفة الشّرّ: أي معرفته في ضوء الآيات ، في ضوء الأحاديث، في ضوء كلام أئمّة السّلف رحمهم الله وأهل العلم، ولهذا أَحَلْتُ في هذا الباب إلى قراءة كتاب «الكبائر» للذّهبيّ، الكبائر كلّها شرّ على الإنسان، ولكن نقرأ كتاب الكبائر لماذا ؟ بأيّ نيّة ؟ نقرأ كتاب «الكبائر» بنيّة أن نتّقي هٰذه الأمور وأن نعرف خطرها وأن نعرف ضررها وأن نعرف عقوباتها، لنحذرها ولنتّقيها، ولئلّا نكون من أهلها .

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يعيذنا جميعًا من نواقض الدّين ونواقصه، وأن يحفظ علينا ديننا وإيماننا، وأن يحفظنا بالإسلام قائمين، وأن يحفظنا به قاعدين، وأن يحفظنا به راقدين، وأن يُعيذنا من الضّلال والزّيغ، وأن يثبّتنا على دينه القويم، وقد كان نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يقول ثلاث مرّات إذا أصبح وثلاث مرّات إذا أمسى: «اللَّهُمَّ إِنِّي

أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَمِنَ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»؛ يستعيذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الكفر، فالمسلم يتعوّذ بالله من الكفر، يتعوّذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، ويعرف هذا الّذي يتعوّذ بالله منه ليجمع بين الاستعانة بالله عزّ وجلّ وبذل الأسباب الّتي هي اتّقاء تلك الأباطيل واجتناب تلك الأضاليل الّتي تحرف العبدَ عن سواء السّبيل، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨] اللّهمّ يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك.

قال رحمه الله تعالى : «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»؛ بدأ بالبسملة تأسّيا بكتاب الله واقتداءً بالرّسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والبسملة كلمة استعانة أي: أبدأ كتابتي هذه مستعينًا بالله، متبرّكًا ومتيمّنًا بذكر اسمه جلّ وعلا طالبًا مدّه وعونه وتوفيقه، وأن يبارك فيما كتبت وأن ينفع به.

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ**»، قوله رحمه الله «اعْلَمْ» هذه كلمة يُراد بها شدّ الانتباه، وتحفيز السَّامع إلى حُسن الاستماع وحسن الإصغاء؛ «اعْلَمْ» والعلم المدعو إليه هنا : هو اليقين الجازم ؛ أي: كن على يقين، وكن على جزمٍ، وكن على دراية تامّة ومعرفة، «اعْلَمْ» أي: تيقَّنْ يقينًا جازما لا شكّ فيه.

ويؤتى بهذه الكَلمة عند ذكر الأمور المهمّة العظيمة الّتي يُقصَد الدّعوة إليها ، أو الأمور الخطيرة الّتي يُقصد التّحذير منها، وهذا الأسلوب جاء في القرآن الكريم في مواضع عديدة، يؤتى بـ«اعلم» بين يدي الأمور العظيمة المهمّة، وكذلك جاء في السّنّة في مواضع عديدة؛ من ذلكم قول الله سبحانه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩] ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة تقرب من الثّلاثين آية، ومن ذلكم في السّنّة قول النّبيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)) ، ولهذا درج عددٌ من أهل العلم في مصنّفاتهم وفي خطبهم ومواعظهم عند ذكر الأمور العظيمة المهمّة الّتي يُطْلَب من المستمع والمتلقّي أن يتنبّه لها وأن يُرْعِيَهَا اهتمامه وعنايته، يُؤتى بهذه الكلمة، فإذا خاطبت المخاطَب ابتداءً قلت: "اعلم يا فلان" انتبَهَ لك وحضر ذهنه واستعدّ للاستماع والاستفادة.

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ**» النّواقض عرفنا أنّها جمع ناقض والمراد بها: الأمور الّتي تُفسد الدّين وتبطله وتنقل المرْء من حظيرة الدّين، ويكون بها من الكفّار المشركين أهل النّار الّذين لا يقبل الله منهم صَرْفًا ولا عدلًا.

وقوله «**الْإِسْلَامِ**» عرّفه رحمه الله في بعض مصنّفاته بقوله: هو الاستسلام لله بالتّوحيد والانقياد له بالطّاعة والخلوص –أو البراءة– من الشّرك. الإسلام : استسلامٌ لله وانقيادٌ وطواعيّةٌ وامتثال لأوامر الله ، والمسلم : هو المستسلم المنقاد المذْعِن لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى؛ بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وزجر .

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ**» وقوله رحمه الله «عَشَرَةُ نَوَاقِضَ» ليس المراد هنا حصر النّواقض بهذا العدد، ولكنّ المراد بيان أهمّ وأعظم وأخطر نواقض الإسلام وأشدّها ضررًا ، وبيان النّواقض الّتي ترجع إليها بقيّة نواقض الإسلام الأخرى، ولهذا فإنّ هذه النّواقض العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تعالى هي أخطر النّواقض وأشدّها ضررًا، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية: بقيّة نواقض الإسلام في الغالب ترجع إلى هذه العشرة ؛ فكان من نصحه رحمه الله وحُسن توجيهه وبيانه أنْ جمع هذه العشرة النّواقض في هذه الرّسالة المختصرة النّافعة المفيدة غاية الفائدة. ويأتي مثل هذا الأسلوب ولا يراد به الحصر ؛ قوله عليه الصّلاة والسّلام : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» وذكرها عليه الصّلاة والسّلام ، هل الموبقات هي هذه السّبع فقط؟ أو أنّ هناك أيضا موبقات أخرى غيرهنّ ؟ لكنّ جَمْعَهُ لهذه السّبع تأكيد على خطورتهنّ ، أيضا قوله في الحديث المتقدّم: «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا» ؛ هذا بيان لأخطر الموبقات وليس المراد حصر الموبقات في هذه الأربع.

الشّاهد أنّ نواقض الإسلام تزيد على هذا العدد ، لكنّ ما ذكره رحمه الله تَعَالى هو أخطر هذه النّواقض وأشدّها ضررًا ، وبقيّة النّواقض ترجع في الجملة إلى هذه العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تَعَالى .

قال: «**الْأَوَّلُ**» من هذه النّواقض «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» وذكر الأدلّة على تحريم الشّرك، وأنّه أعظم الموبقات وأخطر الذّنوب، وأنّه أعظم ذنب عُصِيَ الله عزّ وجلّ به .

قال: «**الشِّرْكُ باللهِ**» وبدأ به قبل غيره ؛ لأنّه أخطر ذنب وأكبر موبقة كما جاء عن نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذكره للكبائر وعدّه لها يبدأ به ، كما في حديث ابن مسعود المتقدّم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ)) بدأ به، وكما في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قُلْنَا: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ..)) ثمّ ذكر بقيّة الموبقات فبدأ بالشّرك. ولهذا بدأ المصنّف هنا رحمه الله تَعَالى به.

وهذه الطّريقة أيضا موجودة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بدأ بماذا؟ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] بدأ بالإشراك، في سورة الإسراء لَمّا عدّد وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جملة من الأوامر والنّواهي تقرب من الثّمانية عشر أمرًا ونهيًا بدأها بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الإسراء:٣٩] ، وأيضا في الآيات الّتي فيها جملة من الأوامر تُبدَأ بالأمر بالتّوحيد وتُبْدَأ بالنّهي عن الشّرك: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[النساء:٣٦]؛ بل إنّ أوّل أمر في القرآن أمر بالتّوحيد، وأوّل نهي في القرآن نهي عن الشّرك، إذا فتحت المصحف وبدأت تقرأ أوّل أمر تراه في القرآن أمر

بالتّوحيد، وأوّل نهي في القرآن نهي عن الشّرك ؛ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] أي: وحّدوه، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : «كلّ أمر بالعبادة في القرآن أمرٌ بالتّوحيد» ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١ - ٢٢] هٰذا أوّل نهي في القرآن ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أوّل شيء نُهِيَ عنه في القرآن الشّرك ﴿لاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً﴾ أي: شركاء، و لهٰذا بدأ المصنّف رحمه الله تعالى بهٰذا النّاقض؛ الشّرك بالله لأنّه أخطرها وأعظمها.

قال: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» والشّرك في أصل معناه وأصل مدلوله: التّسوية، والشّرك بالله : تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه أو شيء من حقوقه، فمن سوّى غير الله بالله في شيء من خصائص الله أو شيء من حقوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده فقد أشرك بالله العظيم، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في بيان حال الكفّار أهل النّار عندما يدخلون نار جهنّم يوم القيامة أنّهم يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشّعراء: ٩٧- ٩٨] ؛انظر ماذا يصف أهل النّار عملهم؟ ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: واضح وبيّن، ضلال بيّنٌ ضلاله، وواضحٌ في منتهى الضّلال، ما هو؟ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: نسوّيكم بالله في خصائصه وحقوقه، يقولون ذلك على سبيل النّدم والأسف، ولكنْ لا يفيد ولا ينفع، بل إنّهم في خضمّ هذا النّدم والأسف يتوجّهون إلى الله بالنّداء والطّلب أن يعيدهم إلى الدّنيا ليعملوا الصّالحات وليحقّقوا التّوحيد وليبتعدوا عن الشّرك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ ماذا يريدون ؟ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ غير الشّرك الّذي كنّا نعمله ، عرفوا أنّ الشّرك هو الضّلال المبين، وأنّ العمل الصّالح لا يكون إلّا بتوحيد ربّ العالمين، ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وماذا يكون الجواب ؟ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ أي: ألم نُعطكم مهلة زمنيّة وعُمُرًا في الحياة الدّنيا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[فاطر:٣٦-٣٧] والمراد بـ«الظّالمين»: أي المشركين الكافرين ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فيُخلَّدون فيها أبد الآباد ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ العذاب لا يُخَفَّف بل يزيد، كما في سورة النّبأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

فالشّرك هو تسوية غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالله، بإعطاء غير الله عزّ وجلّ شيئًا من خصائص الرّبّ أو شيئا من حقوق الرّبّ على العباد؛ خصائص الرّبّ جلّ وعلا مثل: الخلق، والرّزق، والتّصرّف، والتّدبير، والهداية والضّلال، ودخول الجنّة والنّجاة من النّار، وإحاطة علمه وشمول رحمته، وسعة منّه وفضله وعطائه، وكونه يكشف الكُرُبات ويفرّج الهموم، ويشفي السّقيم، ويجيب المضطرّين ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل:٦٢] أي: قليلٌ تذكّركم وعقلكم وفهمكم، وإلّا لو عقل الإنسان وأحسن التّذكّر والفهم لَما عَدَل عن التّوحيد ولم يَمِل عنه، لكنّ الميل إلى الشّرك والكفر بسبب عطَب عقل الإنسان وفساده ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. فمن أعطى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئا من هٰذه الخصائص؛ اعتقد في مخلوق حيًّا كان أو ميّتًا أو جمادًا شيئًا من هذه الخصائص كفر بالله، وكان من المشركين أهل نار جهنّم المخلّدين فيها أبد الآباد.

وكذلك من أعطى غير الله شيئًا من حقوق الله على العباد ، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) فالعبادة حقّ لله على عباده، العبادة من صلاةٍ، وصيامٍ، وذبحٍ، ونذرٍ، وركوعٍ، وسجودٍ، وخوفٍ، ورجاءٍ، وتوكّل، واستعانة، واستغاثة، وغير ذلك العبادة حقّ لله، فمن أعطى هذا الحقّ أو شيئا منه لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنّه يكون بذلك مشركًا بالله العظيم، منتقلًا من ملّة الإسلام، فالشّرك بالله هو تسوية غير الله بالله في شيء من حقوق الله عزّ وجلّ أو شيء من خصائصه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الّتي تفرّد بها كما سبق إيضاح ذلك وبيانه.

قال رحمه الله تعالى: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» أي: تسوية غير الله بالله في العبادة، في عبادة الله الّتي هي حقّ الله على العبيد، وهنا هٰذا المقام للسّلامة من هٰذا النّاقض (الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ) يحتاج العبد إلى نوعين من المعرفة لابدّ منهما:

- الأولى: معرفة الشّرك؛ بمعرفة حقيقته.
- والثّانية: معرفة العبادة؛ بمعرفة حقيقة العبادة وأفراد العبادة.

فيعرف الشّرك ليتّقيه، ويعرف العبادة ليخلصها لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيّنة:٥]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النّساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فيعرف العبادة ليُخلصها لله، ويعرف الشّرك ليتّقيه، فلابدّ من نوعين من المعرفة: الشّرك ليُتّقى ويُجتَنَب ، والعبادة لتُخلَص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والعبادة : اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة. فالعبادة كلمة جامعة من «التّعبّد» وهو التّذلّل والخضوع، يقال : طريقٌ معبَّد؛ أي مذلّل ذلّلته الأقدام ووطّأته الأقدام، ويقال: ناقة معبَّدة؛ أي مذلَّلة للرّكوب، فالعبادة: الذّلّ والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والانكسار بين يديه، فهي اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة.

والأقوال منها أقوال ظاهرة ومنها أقوال باطنة، والأعمال أيضا منها أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، وكلّها عبادة لله.

ومن الأقوال الباطنة: العقيدة الّتي يعتقدها المسلم في قلبه، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[البقرة:١٣٦] أي: قولوا بقلوبكم معتقدين وبألسنتكم ناطقين ومتلفّظين، فالأقوال الباطنة الّتي تكون في قلب الإنسان ؛ قوله في نفسه بأن يعتقد ما أمره الله عزّ وجلّ باعتقاده والإيمان به، وكذلك قوله بلسانه ؛كلّ الأقوال الّتي تُقال باللّسان داخلة في العبادة، ولاسيّما أساس العبادة وهو كلمة التّوحيد «لا إله إلّا الله».

وكذلك الأعمال الظّاهرة والباطنة داخلة في العبادة؛ الأعمال الباطنة مثل: الحياء، والتّوكّل، والخشية، والإنابة، والرّجاء، وغير ذلك، والأعمال الظّاهرة مثل: الصّلاة، والحجّ، والجهاد، والصّدقة وغير ذلك، هذه كلّها داخلة في العبادة، فالعبادة اسم جامع ، ليست العبادة شيء في القلب فقط، ولا في اللّسان فقط، ولا أيضا في الجوارح فقط، بل العبادة في القلب واللّسان والجوارح ، القلب يعبد الله، واللّسان يعبد الله، والجوارح تعبد الله، كلّها تذلّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأساس هذه القلب ؛ ((أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

وفي لقاء الغد بإذن الله عزّ وجلّ نواصل الحديث عن هذا النّاقض الأوّل من نواقض الإسلام، ونكتفي إلى هنا بهذا القدر، والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتّقين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد :

قال شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى في رسالته (نواقض الإسلام) قال في النّاقض الأوّل:

الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، **وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[المائدة:٧٢] **وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.**

****

مضى في لقاء الأمس الكلام على أهمّيّة معرفة نواقض الإسلام من أجل اتّقائها والحذر منها وتحذير النّاس من أن يقعوا فيها صيانة للدّين، وحفظًا للعقيدة، وتحقيقا لِما خُلِق العبد من أجله من توحيدٍ لله عزّ وجلّ وإخلاصٍ للدّين له تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومضى أيضا أنّ الشّيخ رحمه الله تعالى عدّ عشرة نواقض ، وعرفنا أنّ هذا ليس على سبيل الحصر، وإنّما هو بيانٌ لأهمّ ما ينتقض به الإسلام وأنّ بقيّة النّواقض في الجملة ترجع إلى هذه النّواقض العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تعالى .

وبدأ رحمه الله بالنّاقض الأوّل من نواقض الإسلام وهو الشّرك بالله ؛ لأنّ الشّرك أعظم الموبقات وأكبر الكبائر وأعظم المحرّمات.

❖ أعظم الموبقات أي: المهلكات ولهذا بدأ به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في قوله: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ..)) ثمّ ذكر بقيّة الموبقات فبدأ به.

❖ وأكبر الكبائر كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» بدأ به.

❖ وأعظم المحرّمات كما في آية المحرّمات، آية النّواهي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] فبدأ بالإشراك بالله.

❖ وهو أظلم الظّلم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] ، وقال جلّ وعلا: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤].

❖ وهو الذّنب الّذي لا يُغفَر كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨] .

❖ وهو الذّنب الّذي حرّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على صاحبه دخول الجنّة وقضى أن يكون في النّار مخلّدا فيها أبد الآباد: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢] .

❖ وهٰذا الذّنب العظيم والجرم الوخيم مصادم تمام المصادمة ومنافٍ تمام المنافاة لِما خُلِق العبد من أجله ووُجِد لتحقيقه وهو عبادة الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات:٥٦] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البيّنة:٥]، وقال جلّ وعلا : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزّمر: ٣].

قال رحمه الله تعالى: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» وعرفنا أيضا معنى العبادة: وأنّها اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة، والعبادة بكلّ أصنافها وجميع أنواعها وأفرادها حقّ لله لا شريك له ، فمن صرف شيئا من العبادة لغيره كائنًا من كان فقد أشرك بالله العظيم واتّخذ مع الله سبحانه وتعالىٰ الأنداد والشّركاء ، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢] أي: لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنّه لا خالق لكم غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد ذكر الشّيخ رحمه الله تعالى في التّحذير من الشّرك وبيان سوء مغبّته وعظم عقوبته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دليلين من القرآن الكريم:

الأوّل: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في موضعين من سورة النّساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨، ١١٦].

الثّاني: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

اقتصر رحمه الله على ذكر هذين الدّليلين لأنّ هٰذه الرّسالة مختصرة في بيان النّواقض وليس الموضع فيها موضع بسطٍ وتفصيل، وإلّا فإنّ الآيات الّتي في القرآن الّتي ذُكِر فيها الشّرك وبُيِّنت عقوباته وحُذِّر منه وبُيِّن سوء مآل أهله في دنياهم وأخراهم كثيرة تتجاوز المائة والخمسين آية في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والآية الأولى الّتي ذكر المصنّف رحمه الله تعالى وهي قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فيها أعظم تحذير وأشدّ زجر ونهي عن الشّرك بالله ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ توعّد في هٰذه الآية المشرك به الّذي مات على الشّرك بالله أنّه لا يغفر له ، وأنّ المشرك الّذي يلقى الله يوم القيامة مشركًا لا مطمع له يوم القيامة في مغفرة الله، ولا سبيل له إلى نيل رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنّ الله عزّ وجلّ حرّم رحمته ومغفرته على الكافرين، وهٰذا توعّدٌ مقيّدٌ في هٰذه الآية بالإشراك به ، خصّص هٰذا الذّنب وقيّد المغفرة قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ خُصَّ هنا الشّرك من بين الذّنوب قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لم يُذكَر مع الشّرك الذّنوب الأخرى، وإنّما خصّ الشّرك وحده بالذّكر من بين سائر الذّنوب قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لَمّا خصّص من الذّنوب ذنب الشّرك بأنّه لا يُغفَر قيّد في الآية المغفرة بمن يشاء قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ والمراد بذلك : أي من لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة ؛ الّذين يلقونه بالشّرك والّذين يلقونه بالذّنوب الأخرى أخبر جلّ وعلا أنّ من يلقاه بالشّرك لا يغفر له، ومن يلقاه بغير الشّرك بالذّنوب الّتي هي دون الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنّه جلّ وعلا يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، أي: الأمر في هؤلاء الّذين لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذنوبٍ دون الشّرك به تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر، وإن شاء عذّب ، وإن عذّبهم لا يخلّدهم في النّار ، لأنّه لا يُخلَّد في النّار إلّا المشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهٰذا يجب أن نعلم أنّ هٰذه الآية الكريمة من سورة النّساء في حقّ من مات على الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهٰذا ليس بين هٰذه الآية الكريمة وقول الله عزّ وجلّ في سورة الزّمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(٥٣)﴾ ، قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ يدخل في ذلك يدخل في ذلك الشّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو لا يدخل ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الشّرك داخل في هٰذا التّعميم أو ليس بداخل ؟ الجواب: أنّ الشّرك داخل في هٰذا التّعميم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ، لِماذا قلنا داخل وقد قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؟ فلِمَ قلنا في آية الزّمر إنّ الشّرك داخل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي بِما فيها الإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

الجواب: لأنّ آية الزّمر في حقّ من تاب ، وآية النّساء في حقّ من مات على ذلك ، من مات على الشّرك ومات على الذّنوب؛ الّذي يموت على الشّرك لا يُغفَر له، والّذي يموت على المعاصي تحت مشيئة الله، إن شاء عذّب وإن شاء غفر ، ليس المراد في آية النّساء من تاب، لأنّ من تاب من الشّرك أو من غيره تاب الله عليه، بدون أن يقيّد الأمر بالمشيئة من تابَ تاب الله عليه . ولهٰذا لَمّا ذكر في آية الزّمر مقام التّوبة إليه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولم يقيّد، عمّم وأطلق، وفي آية النّساء خصّص وقيّد، بينما في آية الزّمر عمّم وأطلق: عمّم الذّنوب كلّها بِما فيها الشّرك ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، وأطلق ولم يقيّد كما جاء التّقييد في آية النّساء .

والدّليل على أنّ المراد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: من مات على ذلك، الدّليل على ذلك قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وهذا الخطاب لا يتوّجه إلى من مات بذنوبه ومعاصيه ، وإنّما يتوجّه هذا الخطاب

للحيّ المكلّف المخاطب بالتّكاليف يقال له: لا تقنط، أي: تُب إلى الله، تب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأقبِل عليه واندم على الذّنوب وفارقها، قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: توبوا إلى الله فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يغفر الذّنوب جميعا، أي: لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره ، مهما عظم الذّنب ومهما كبر الجرم فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فهو الغفور الرّحيم ، يغفر الذّنوب جميعا، مهما كثرت وتعدّدت وامتدّت من حيث المساحة التّاريخيّة والزّمنيّة، ومهما غلظت وعظمت وكبرت يغفر الذّنوب جميعا أي: في حقّ التّائبين إلى الله، فمن تاب وصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في توبته محا الله عنه ذنوبه وغفر له سيّئاته ولو كانت شركا، كفرًا ، زندقة، إلحادًا، إجرامًا، مهما كان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ وهذه أكبر الجرائم وأعظم الموبقات، قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ﴾ من تابَ تاب الله عليه ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١] . فقوله جلّ وعلا في سورة النّساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ الحديث في هٰذه الآية عمّن لقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالشّرك، ولقوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالذّنوب الأخرى الّتي دون الشّرك حكمهم يوم القيامة: أنّ المشرك لا مطمع له إطلاقا في مغفرة الله، ولا سبيل له البتّة لنيل رحمة الله، بل ليس له يوم القيامة إلّا النّار مخلّدا فيها أبد الآباد، لا يُقضى عليه في النّار فيموت وينتهي الأمر بموته، ولا أيضا يخفّف عنه من عذابها، ولا أيضا يُخرَج من النّار ويعاد إلى الدّنيا ليعمل صالحا غير الّذي كان يعمل، كلّ ذلكم لا يكون.

والمشرك يطلب وهو في النّار من الله أن يقضي عليه فيموت وينتهي كلّ شيء بموته، ويطلب أن يُخَفَّف عنه العذاب، ويطلب كذلك أن يعاد إلى الدّنيا ليعمل صالحا وليتوب ولينيب إلى الله، والجواب على هٰذه الطّلبات ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨] وقال جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ هٰذا الأمر الأوّل ، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ هٰذا الأمر الثّاني ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ هٰذا الأمر الثّالث الّذي يطلبونه ، قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ، ولننتبه هنا أنّ المراد بالظّالمين: المشركين، وأنّ المراد بالظّلم هنا: ظلم الشّرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أمّا الظّلم الّذي هو دون الشّرك؛ ظلم النّفس بالمعاصي والذّنوب فهٰذا حكمه آخر كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وهٰذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ تعدّ قاعدةً عظيمة، وأصلًا متينا في باب الوعيد والتّهديد الوارد في كتاب الله وسنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بمعنى أنّ آيات الوعيد الّتي جاءت في القرآن الكريم يجب أن تُفْهَم في ضوء هٰذه الآية الكريمة ، لأنّ هٰذه الآية أصل وأساس تعاد إليه نصوص الوعيد الواردة في كتاب الله وسنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجب أن تُفْهَم في ضوء هٰذه القاعدة الّتي انتظمتها هٰذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وللتّوضيح أقول: لو قرأنا سورة النّساء سيمرّ علينا في موضعين من هٰذه السّورة هٰذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ ، وبين هٰذين الموضعين في سورة النّساء ورد قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[النساء:٩٣] ، لَمّا انتزع أقوامٌ من أهل الأهواء وأرباب الضّلال هٰذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ لَمّا انتزعوا هٰذه الآية وجرّدوها من سياقاتها في القرآن الكريم وحكموا في ضوئها على مرتكب الكبيرة ضلّوا ضلالا مبينا ؛ فقالوا: إنّ مرتكب الكبائر –أي الّتي دون الشّرك– مخلّد في النّار يوم القيامة، قالوا: والدّليل أنّ الله قال في حقّ القاتل:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾. فيقال لهؤلاء: ماذا تصنعون في آيتين في القرآن وردتا في السّورة نفسها تسبق هٰذه الآية وتأتي بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ ! والقتل دون الشّرك فماذا تصنعون في هٰذه الآية؟

ولهذا ذكر جماعة من العلماء أنّ أحد أصحاب هٰذا الفكر الضّال الّذين يحكمون على مرتكب الكبيرة الّتي هي دون الشّرك بالخلود في النّار أبد الآباد مستدلّين بالمتشابه معرضين عن المحكم، قد قال الله عزّ وجلّ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ثمّ ذكر طريقة أهل الزّيغ قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧] أي: الرّاسخون في العلم يعلمون تأويله كما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «أنا من الرّاسخين في العلم الّذين يعلمون تأويله» ، والمراد بتأويله: أي معنى المتشابه، الرّاسخ في العلم يعلم معنى تأويله، وطريقة الرّاسخين في العلم: إعادة المشتبه إلى المحكم فيتّضح ويزول الاشتباه . أمّا أهل الزّيغ فيعرِضون عن الآيات المحكمات ويتّبعون المتشابهات ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

فأحد أرباب أهل الضّلال مِمّن يحكمون على مرتكب الكبيرة بالخلود في النّار قال مقالة شنيعةً آثمة أراد بها تشكيك النّاس في أديانهم وعقائدهم، ولكنّ الله عزّ وجلّ ألجمه بِما يقطع دابره في المجلس نفسه، قال ذلكم الرّجل في مجلس: " أنا إذا وقفت أمام الله يوم القيامة سأقول له: إنّ مرتكب الكبيرة مخلّد في النّار" –أراد أن يشبّه على

النّاس- قال: " فإذا قال لي: ما الّذي حملك على ذلك؟ قال: أقول أنت قلت في القرآن:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ، قد ذكر هٰذه القصّة ابن قتيبة رحمه الله وجماعة من أهل العلم ، وكان في المجلس شابّ صغير فقال له على الفور:" فإذا قال لك الله: وقد قلتُ في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقد شئتُ أن أغفر له فماذا تقول ؟ فبُهت . الّذي صنعه هٰذا الشّابّ بتوفيق من الله أعاد هٰذه الآية إلى المحكم، قال: "إذا قال لك: قلت في القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ القتل دون ذلك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، ولهذا بعض المفسّرين قالوا عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ قالوا: هٰذا جزاؤه إن جازاه، لأنّ الأمر في قوله: ﴿يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ قُيّد بالمشيئة ، ولهذا قالوا: هٰذا جزاؤه إن جزاه، لأنّ الأمر تحت المشيئة مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وقد شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما تدلّ على ذلك آيات في القرآن وأحاديث في السّنّة النّبويّة أن لا يُخلَّد في النّار إلّا المشرك: ((أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)) .

فإذا وُفِّق المسلم إلى طريقة أهل العلم بفهم المتشابه في ضوء المحكم من آيات كتاب الله عزّ وجلّ، ولم يتّبع المتشابه كطريقة أهل الزّيغ معرضًا عن المحكم فإنّه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقف على الحقّ والهدىٰ ويسْلم من الضّلال والرّدى.

هٰذه الآية الأولى الّتي أوردها الشّيخ رحمه الله مستدلّا بِها على عظم جرم الشّرك، وأنّه ذنب لا يغفره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لصاحبه إذا لقي الله بذلك ، أمّا المشرك في الدّنيا إذا تاب تاب الله عليه كما يدلّ لذلك آية الزّمر كما مرّ إيضاح ذلك وبيانه .

الآية الثّانية الّتي أوردها رحمه الله : قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ؛ ذكر هٰذه العقوبات في حقّ المشرك أنّ الجنّة عليه حرام، قال الله في القرآن: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] ومن المعلوم أنّ الجمل الكبير لا يدخل ولا يمكن أن يدخل مع ثقب الإبرة الصّغير ، ومعنى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ معنى ذلك أنّهم لا يدخلون الجنّة أبدًا، لأنّ الجمل مهما حاول أن يدخل في سمّ الخياط أي في ثقب الإبرة الصّغير لا يمكن ولا يستطيع ، فالمراد بذلك أنّهم لا يدخلون الجنّة أبد الآباد، الجنّة عليهم حرام، ريح الجنّة لا

يجدونه فضلا عن رؤيتها أو دخولها أو التّعلّل بطيب هوائها وصفاء جوّها، حرّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم الجنّة ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾

﴿وَمَأْوَاهُ﴾ : أي مسكنه الّذي يأوي إليه ويكون فيه مخلّدا أبد الآباد النّار، بِما أعدّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها من العقاب الأليم والنّكال الشّديد. اللّهمّ أجرنا من النّار، اللّهمّ أعذنا من النّار، اللّهمّ إنّا نسألك الجنّة يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام، ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب.

قال: ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي: لن يجد الظّالم من ينصره، من يخلّصه، من ينجّيه من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعقابه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ، والمراد بالظّالمين هنا: أي المشركين الكفّار مثل ما ذكرنا في الآية الكريمة الّتي في سورة فاطر ، المراد بالظّلم هنا الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النّاقل من الملّة، المراد: الإشراك بالله عزّ وجلّ .

لأنّ «الظّلم» يطلق في القرآن تارة ويراد به الشّرك، ويطلق تارة ويراد به ظلم النّفس فيما دون الشّرك.

فمن أمثلة إطلاق الظّلم وإرادة الشّرك قوله هنا: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ونظائر ذلك كثير.

وتارة يطلق الظّلم ويراد به ظلم النّفس فيما ما دون الشّرك كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[فاطر: ٣٢-٣٣] قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ من هم؟ يعود على من؟ «الواو» في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ تشمل من؟ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ثمّ قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ كلّهم أو بعضهم ؟ كلّهم، حتّى الظّالم لنفسه، كلّهم يدخلون الجنّة، فكيف يُوَفَّق بين هٰذا وبين قوله في الآية السّابقة: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ؟

المراد هناك الظّلم ظلم الشّرك، والمراد بالظّلم هنا في هٰذه الآية الظلم الّذي دون الشّرك ، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي بالذّنوب والمعاصي الّتي هي دون الشّرك بالله، لأنّ السّياق من أوّل الآية في حقّ المسلمين الّذين ورثوا الكتاب ليس في حقّ الكفّار ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فوصفهم الله بالمصْطَفَيْن ووصفهم بأنّهم عباده جلّ وعلا ، وذكرهم أقساما ثلاثة: الظّالم لنفسه، والمقتصد، والسّابق بالخيرات، كلّ هؤلاء مسلمون؛ السّابق بالخيرات: الّذي فعل الواجبات وترك المحرّمات ونافس في الرّغائب والمستحبّات، والمقتصد: الّذي اقتصر على فعل

الواجبات وترك المحرّمات، والظّالم لنفسه : الّذي ظلم نفسه بالذّنوب الّتي دون الشّرك بالله، جميع هؤلاء قال الله عنهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ . ولهٰذا بعض أهل العلم في كتب التّفسير يعظّمون شأن هٰذه «الواو» في قوله:﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ ويفخّمون أمرها لأنّها رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفضل، شملت الظّالم لنفسه قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي بما فيهم الظّالم لنفسه .

لكن كما بيّن العلماء رحمهم الله : السّابق بالخيرات والمقتصد كلاهما يدخل الجنّة بدون حساب ولا عذاب ، وأمّا الظّالم لنفسه فهو يدخل الجنّة لكن قد يمرّ قبل ذلك بمرحلة تطهير في نار جهنّم ، ولهذا دخوله الجنّة وشمول الآية له في قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ لا يلزم منه أن يكون هٰذا الدّخول دخولًا أوّليّا مباشرة؛ بل قد يمرّ قبل ذلك بمرحلة تعذيب أو مرحلة تطهير.

وممّا يدلّ لذلك أيضا أنّك إذا قرأت سياق الآيات بعد هٰذه القسمة الثّلاثيّة وقول الله فيهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بعدها بقليل قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧] قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ هنا يختلف عن قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾؛ هنا قوله: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين الكفّار، وهناك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي بالذّنوب والمعاصي الّتي دون الشّرك .

ونواصل الحديث غدا إن شاء الله، والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد .

شرح نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

من الدرس ٣ إلى الدرس ٦

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٦/٢٤ هـ

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ: الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، **وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[المائدة:٧٢] ، **وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ .**

****

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى النّاقض الأول من نواقض الإسلام وهو الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالى ؛ الشِّرك في عبادة الله باتخاذ الأنداد والشّركاء مع الله، وذكَر دليلين من القرآن في بيان خطورة الشِّرك وسوء عاقبة أهله:

الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

الثاني: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

ثم ختم ذلك بذكر مثالٍ واحد لبيان الشِّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وحقيقته، وهٰذا من باب التوضيح للشيء بضرب المثال عليه وذِكر المثال أو ذِكر فرد من أفراده، ولهٰذا قال رَحِمَهُ اللهُ : «**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ**»، «مِنْهُ»: أي الشِّرك، «الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ» أي إراقة دم بهيمة الأنعام على وجه التقّرب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ فهٰذا من الشِّرك الأكبر النَّاقل عن ملّة الإسلام.

قال: «**كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ**» أي كمن يذبح بهيمة الأنعام مريقًا دمها متقرّبًا بذلك للجن ليجلبوا له بذلك نفعًا أو يدفعوا عنه ضُرًّا؛ كمن يبني بناءً أو يهيئ مسكنًا لنفسه، فيذبح عند عتبة بابه ذبيحةً للجنّ لِيَقُوه من الشر، أو ليجلبوا له في مسكنه النّفع والخير والفائدة، وكذلك كمن يتقرّب للقبر؛ أي يتقرّب للميّت في قبره بأن يذبح له ذبيحةً متقرّبًا بها إليه؛ فهٰذا كلُّه من الشرك الأكبر النّاقل من ملّة الإسلام، لأنّ الذبح قربة من أعظم القُرب وطاعة من أجَلّ الطّاعات ؛ بل هو أعظم العبادات المالية، كما أنّ الصلاة أعظم العبادات البدنيّة، قد جمع اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بين هاتين العبادتين العظيمتين في غير موضع من القرآن، ومن ذلكم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]، أي وانحر لربك؛ فجمع جَلَّ وَعَلا بين هاتين العبادتين العظيمتين: الصلاة؛ وهي عبادة

بدنية بل هي أعظم العبادات البدنية، والنّحر ؛ عبادة مالية وهي أعظم العبادات المالية. وقد اجتمع في هاتين العبادتين من الذّلّ والخضوع ، وتعظيم الله ، وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، والاستعانة به، وحسن الثِّقة به جَلَّ وَعَلا، وعِظَم الرّجاء لكريم موعوده وعظيم فضله، إلى غير ذلك من المعاني ما لم يجتمع في غير هاتين العبادتين، ممّا يدلّ على عِظَم شأنهما ورِفعة مكانتهما وعِظَم ثوابهما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وأنّهما من أعظم ما يتقرّب به المتقرّبون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ خضوعًا له عَزَّ وَجَلَّ وشُكرًا.

و«الفاء» في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فاء السّببيّة؛ أي بسبب أنّه أعطاك ومَنَّ عليك بالخير العظيم والمنّ الواسع والفضل العميم صلِّ له وانحر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؛ أي شكرًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالى واعترافا بمنّه وَجُوده وعطائه، أفْرِده جَلَّ وَعَلا بصلاتك، وأفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِنَسيكتك؛ فتنحر له متقرّبا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، طالبًا أجْرَه عَزَّ وَجَلَّ وثوابه.

وكذلك جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بين هاتين العبادتين في قوله جَلَّ وَعَلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، قُلْ أيها النّبي للمشركين الذين اتّخذوا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الشّركاء والأنداد فصرفوا لهم العبادة وقدّموا لهم النُّذور والقرابين ، قل لهم مُعلنًا توحيدك، مبيّنا إخلاصك لربّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، صادعًا بالحق والهدى ولو كره الكافرون ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ و«إنَّ» هنا من المؤكدات، ويُؤتى بهٰذا المؤكّد في الجمل الخبرية كما هنا ﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، إذا كان المخاطَب مُنْكِرًا أو شبه منكِر، وهٰذا فيه من الدّلالة أنّ المشركين كانوا في هٰذه العبادة على الشّرك بالله واتّخاذ الأنداد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيّه أن يقول لهم معلنًا مصرّحا صادعًا بالحق أنه مخالفٌ لهم في ذلك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مخلصًا في ذلك كلِّه لله جَلَّ وَعَلا ، لا أصلّي إلا له، ولا أذبح وأنحر إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، فهٰذا تقرُّبٌ، والتقرُّب لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

والتقرّب ببهيمة الأنعام بإراقة دمها لا يكون لا لجنّ ولا لقبر ولا لحجر ولا لشجر ولا لغير ذلك، وإنما يكون للذي أجرى الدَّم في عروقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، والذي تفضّل بها وبكلِّ نعمة جَلَّ وَعَلا؛ فالعبادة لا تكون إلا للمنعِم، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل:٥١-٥٣]؛ فالعبادة إنما تكون للمنعِم المتفضل المانّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وإراقة الدّم –دم بهيمة الأنعام– تقربا لا يكون لأيّ أحد كائنا من كان، وإنما

يكون للذي أجرى الدّم في عروق بهيمة الأنعام وتفضّل بها ومنّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ فإذا جُعلت النّسيكة لغيره سبحانه كان ذلك من الشّرك الأكبر الناقل من ملّة الإسلام.

قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾جمَع بين الصّلاة والنُّسك، والنُّسك: هو الذّبح، قوله ﴿نُسُكِي﴾ أي ذبحي

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ هٰذا تعميم بعد تخصيص، لما خصّ هاتين العبادتين بالذِّكر، الصلاة والنسك، عمّمَ بقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أحيا عليه وأموت عليه من إيمان وعمل صالح وتقرّب كل ذلك لله ربِّ العالمين.

قال: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و«اللام» هنا في قوله ﴿لِلَّهِ﴾ لام الاستحقاق؛ أي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى المستحق لذلك، الذي لا يستحقّ ذلك إلا هو عَزَّ وَجَلَّ ولا يستحقّه سواه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذِكْر الربوبية فيه إشارة إلى دليل الاستحقاق وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هو وحده المستحق لذلك لأنه وحده ربّ العالمين لا شريك له؛ فكما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تفرّد بالخَلق والرّزق والملك والتدبير فيجب أن يُفرَد سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالعبادة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أيضا فيه تقرير للتوحيد من جهة أخرى ؛ قال: ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ أي ربّ العالمين لا شريك له؛ لا شريك له في ربوبيته جَلَّ وَعَلا ، وكذلك لا شريك له في العبادة؛ فالعبادة حقّ له جَلَّ وَعَلا دون سواه، كما أنه عَزَّ وَجَلَّ تفرّد بالرّبوبية لا شريك له فيجب أن يُفرَد بالعبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لا ندَّ له.

وهٰذا الإعلان والصّدع بالحق والهُدى في هٰذه الآية الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى به نبيه محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء في مقام إبطال عقائد المشركين وضلالاتهم، ومن جُملة تلك الضلالات تقديم القرابين والنّسائك والذّبائح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ تقديمها للأصنام وللأشجار ولغيرها ممّا يعتقدون فيه ويتقرّبون إليه، وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حالهم العجيبة البئيسة الشّنيعة القبيحة، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في القُرآن الكريم، مُبيّنًا عَزَّ وَجَلَّ أنهم كانوا يتّخذون مع الله الشركاء في هٰذه العبادة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾[الأنعام:١٣٦] أي جعلوا له وأيضا جعلوا لغيره؛ فلم يُخْلصوا له جل وعلا هٰذا الجعل وهٰذا التقرّب؛ بل جعلوا معه الأصنام ندًّا وشريكا، قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾، ذَرَأَ: أي خلق وأوجد؛ وهٰذا فيه الدّليل على وجوب إفراد الله بهٰذا التقرّب لأنه هو الذي ذرأ؛ أي هو الذي خلق وهو الذي أوجد وهو الذي تفضّل وأنعم ؛ فوَجب أن يُفرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالعبادة، ومن ذلكم الذّبح؛ ولكن كانت حال المشركين في هٰذه العبادة الشّرك والتنديد ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:١٣٦]؛ أي أن هؤلاء وقد تفضّل الله عليهم بالحرث، الزروع الطيّبة النافعة المفيدة، وتفضّل عليهم ببهيمة الأنعام؛ ولكنهم عندما يتقربون للشكر، شكر المنعِم، شكر المتفضّل، يقسمون هٰذا الحرث، ويقسمون بهيمة الأنعام التي تفضّل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالى- بها عليهم إلى قسمين: قسم يتقرّبون به إلى الله، ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ويجعلونه في مكان خاص، وقسم آخر ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي أن هٰذا مجرد زعم، أما في الحقيقة ليس لله، وهٰذا فيه تنبيه على مقام التّوحيد، هو في الحقيقة ليس لله جَلَّ وَعَلا لأنه لا يكون لله إلا ما كان خالصًا، فقولهم: ﴿هذا لِلَّهِ﴾، قال: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ هٰذا زعم، دعوى لأن الذي لله لا يكون إلى الخالص؛ أما إذا جُعِل لله شركاء فيه لا يكون لله ولا يقبله الله . ففي الآية تنبيه على ما ورد في الحديث القدْسي الذي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فيه: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))؛ فالذي يُتّخذ فيه مع الله الأنداد لا يكون لله؛ فهٰذا فيه تنبيه على مقام التوحيد وأنه لا يكون لله إلا الخالص، أمّا الذي ليس خالصا لا يكون لله؛ لأنّ ﴿لِلَّهِ﴾ فيها الإخلاص ، مثل ما قال الله في الحجّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٦]، فلا يكون ذلك إلا بالإخلاص، فإذا انتفى الإخلاص لم يكن لله ولم يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا قال: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾، أي هٰذا زعم زعموه وادّعاء ادعوه، وإلا من حيث الواقع والحقيقة فهو ليس لله؛ لأن الذي لله إنّما يكون الخالص.

﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ أي لأصنامنا ومعبوداتنا وأوثاننا؛ فيتقرّبون إلى الله جَلَّ وَعَلا بنصيبٍ، يجعلون نصيبا من الحرث والأنعام، ويقولون ﴿هٰذا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ، ويجعلون نصيبا آخر للشركاء يتقربون به إليهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ثم مع ذلك لو أن واحدةً من بهيمة الأنعام في القسم أو النصيب الذي خصّصوه لله بزعمهم فَرّت إلى القسم الآخر الذي خُصّص للأصنام، لا يعيدونها إلى مكانها؛ بل يتركونها تبقى مع نصيب الأصنام، ولو حصل العكس فرّت واحدة مما خُصص للأصنام إلى النصيب الذي خُصص لله بزعمهم يعيدونه، ولهٰذا قال الله سبحانه : ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:١٣٦]، أي أنّ حكم هؤلاء أسوء الحكم وأقبحه ، ولا أسوء منه ولا أقبح.

فهٰذه الآية فيها بيان وتصوير وإيضاح لحال المشركين المتّخذين الأنداد، وأنّ من أنواع شركهم وصنوف كفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى اتّخاذ الأنداد في باب الذّبح؛ فيذبحون لله ويذبحون للأصنام، وما يذبحونه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لا يقبله الله عَزَّ وَجَلَّ منهم لأنّ الشّرك مبطل للعمل كله محبط له، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ

إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]؛ فالشرك محبط للعمل كله، ناقل لصاحبه من ملّة الإسلام، ولهٰذا جاء -كما مرّ معنا في الآية المتقدمة- أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يصدع بالحق والتوحيد والهدى، مُبطلًا عقائد المشركين، ناقضًا شركهم وضلالهم وباطلهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ أي التوحيد والإخلاص لله والبراءة من الشرك ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] ، فهٰذا الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى به نبيّه وأمر به جميع النبيين، ولأجل ذلك خَلق الخلق كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذّاريات:٥٦]، ولأجل ذلك أرسل تَبَارَكَ وَتَعَالى الرُّسل كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقد جاء عن نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في أحاديثه الشريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التحذير الشديد من صرف هٰذه العبادة لغير الله ولعن من فعل ذلك، وبيان أنه مطرود مُبعَد من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كما جاء في الحديث الصحيح، حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه قال: حدثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع، قال: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيّر منار الأرض، ولعن الله من آوى مُحْدِثا))؛ فذكر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أمورا أربعة ملعون أصحابها مطرودون من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالى ، وبدأ بأخطرها وأشنعها وأفظعها وهو الشرك في الذبح بتقديم الذبيحة والقربان لغير الله، قال: ((لعن الله من ذبح لغير الله))، وهٰذا اللّعن يشمل كل ذبح تُقُرّب به لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ولو كان المذبوح من أتفه الحيوان وأخسّه؛ لأنّ المقصود عمل القلب والتقرّب، فإذا ذبح الإنسان متقرّبًا إلى غير الله ولو أخس الحيوان استحقّ هٰذا اللعن ودخول النار وأن يبوء بسخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وعقابه، وبدأ هٰذه الأمور الأربعة بلعن من ذبح لغير الله؛ لأن هٰذا شركٌ وما بعده كبائر، والشّرك أكبر الكبائر وأعظم الموبقات كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله)).

وتقديم القرابين لغير الله الذي لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث فاعله، يكون مستحِقًّا هٰذا اللَّعن والطرد والإبعاد من رحمة الله، ودخول النّار ولو كان متقرّبا بأخسّ الحيوان كما أشرت، ولهٰذا جاء في المسند عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب))، هٰذا أمر عجيب للغاية، الذّباب من أخس الحيوان وأحقره وأتفهه، حيوان حقير ولا يُؤبه به وليس له أي مكانة في النفوس؛ بل يتأذى الناس منه ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل

النار في ذباب))!!، تعجّب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قالوا: «وكيف ذاك يا رسول الله؟»، قولهم (وكيف ذاك يا رسول الله) هٰذا تعجب من الصحابة رضي الله عنهم ، أنّ هٰذا الحيوان الحقير التافه الذي لا يُؤبه به يكون سببا لدخول رجل الجنة وسببا لدخول آخر النار! عجيب هٰذا! قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟، قال: ((مرَّ رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوز أحد حتى يُقرِّب له شيئًا)) أيّ شيء، وقوله في الحديث: «شيئا» هٰذه نكرة تدل على العموم، وهٰذا فيه تنبيه أنّ مقصود دعاة الباطل عمل القلب والموافقة لهم على الشِّرك، ولو كان العمل المتقرب به في صورته ليس بشيء لا يبالون بذلك، المهم مشاركتهم في أساس العمل وموافقتهم في أصل التقرُّب لغير الله؛ فهُم عندهم صنم لا يجوز أحد، أي لا يمر أحد من عنده إلا إذا قرّب شيئا، أي شيء؛ ((فقالوا لأحدهما قرّب، قال: ما عندي شيء أقربه)) ما عندي ما أُقرّب، ليس عندي شيئا أقرّبه، ((قالوا: قرّب ولو ذبابا؛ فأخذ ذبابا وذبحه متقربا به على ذلك الصنم فمات فدخل النار))، قرّب ذبابا للصّنم. قوله في الحديث: ((فدخل النّار)) «الفاء» هنا فاء السّببية بسبب ذلك، وهٰذا يدلّ أنّه قبل هٰذه القصة كان مسلمًا، وإلا فما معنى قوله: «فدخل النار»؟ لأن هٰذا ذكر السّبب الذي بموجبه دخل النّار؛ فهٰذا معناه أنه كان قبل ذلك على الإسلام، وبعد أن ذبح ذبابا لغير الله كَفَر وأشرك ودخل بذلك النار، والدّخول للنار بسبب الشرك دخول أبديّ وخلود سرمدي، يبقى المشرك في النّار أبد الآباد مخلدا فيها، إذا دخل النار بسبب الشرك فإنه لا يخرج منها أبدَ الآباد؛ فدخل النّار بذباب، كان مسلمًا فذبح ذباب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فدخل به النار.

إذا كان هٰذا دخل النّار بسبب ذبابٍ قرّبه لصنم ؛ فكيف بمن يقرّب الشّاة السّمينة أو البقرة أو الناقة، وينتقي أسمنها وأطيبها وأجودها، ثم يريق دمها متقرّبا بها لقبر أو متقرّبا بها لجن!! مثل ما يقع على أيدي السّحرة قاتلهم الله أنّى يؤفكون! عندما يأتيهم آتٍ يشتكي من مرض أو مصيبة أو مُعضلة يأمرونه أن يذبح، ويشترطون عليه ألّا يأكل منه، وألاّ يسمي عليه، وأن يكون في المكان الفلاني قُربة إلى الجن، هٰذا ذبح للجن، تقرّبا إلى الجن، لا يذكرون اسم الله ويتقربون بها إلى الجن ؛ فإذا كان من تقرب بذباب لغير الله دخل النار فكيف بمن تقرب بدجاجة، أو تقرّب بكبش أو بقرة أو ناقة أو نحو ذلك؟! لاشكّ أن هٰذا أعظم، الذّباب لا يُؤبه به ، وهٰذه لها مكانة في النّفوس ومنزلة في القلوب ولها حَظوة عند أصحابها، ولهٰذا كان الذّبح من أعظم القُرَب المالية؛ لأن بهيمة الأنعام لها مكانة عند صاحبها، ولها منزلة في قلبه؛ فإذا جرّ واحدة منها وهي حبيبة إليه ولها مكانة في نفسه وذبحها، هٰذه قُربة مالية من أعظم القُرب المالية؛ فإذا كانت لغير الله فهٰذا من أعظم الشرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

((**قالوا للآخر: قرّب، قال: لم أكن لأُقرّب لأحد غير الله**)) أعلن توحيده وإخلاصه، مثل ما جاء في الآية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، صدع بتوحيده

وإخلاصه، وهٰذا يدل على قوة التوحيد في قلبه ومكانته في نفسه أمام هؤلاء العتاة الجَلَاوزة المجرمين، معهم أسيافهم وعُدّة إزهاق روحه، لم يبالي «قال: لم أكن لأُقرّب لأحد غير الله»؛ وهٰذا فيه عِظم مكانة التوحيد في قلب هٰذا الرجل ؛ فأمسكوا به وذبحوه فدخل الجنة، دخل الجنة على عناية ورعاية عظيمة بالتّوحيد، ولم يبال بإراقة دمه في سبيل بقائه على التوحيد والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

والأول الذي دخل النّار بسبب الذّباب لا تخلو حاله من أمرين: إما أن يكون مُكرهًا على الفعل ، أو ليس مكرها عليه.

- وإذا قيل أنه ليس مكرها على الفعل – ولعل هٰذا الأقرب والله تعالى أعلم – لأن ظاهر سياق القصة وهي «لا يجوزه أحد» يفيد أن ذلك إنما يكون في مجاوزة الصنم؛ لكن من وصل إليهم ولم يُرِد أن يتقرب له أن يرجع؛ لكن لا يجوز أحد إلا أن يتقرب؛ فيمكن أن يرجع ولا يتقرّب إلى ذلك الصنم ؛ لكن هٰذا أراد أن يمضي في طريقه ولو حصل منه هٰذا الذّبح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، فرغب في المواصلة وأن يُجاوز المكان، فقرّب ومضى ومات فكان من أهل النار. وأيضا ظاهر كلامه من بداية الأمر يدلّ على ذلك، لهٰذا قال له: «قرّب»، قال: «ما عندي ما أقرّب» كأنه يقول: أنا مستعد، لكن ليس عندي شيء أقرّبه . فلم يحصل منه أي ممانعة ولا تردد ولا امتناع وإنما مباشرة قال: (ما عندي ما أُقرّب)، فقالوا: (ولو ذباب؟)؛ فذبح ذبابا، هٰذا يدلّ على ضعف التوحيد عنده، ولهٰذا دخل في الشرك بتقريبه لذباب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، فإذا قيل: إنه ليس مكرهًا فلا إشكال في قوله: «فدخل النار» لأنه تقرّبَ لغير الله ودخل النّار بسبب ذلك.
- وإذا قيل: إنه مكره على ذلك فأيضا لا إشكال فيه، لأن قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦] هٰذا خاص بأمّة محمد عليه الصلاة والسلام ، تجاوز الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عن أمّة محمد الإكراه، والأمم التي كان قبلها كان لا يُتجاوز عن الإكراه؛ بل يجب أن يصبر ويصمد على التوحيد؛ لا يقول كفرا ولا يُطاوعهم في شيء ولو أُريق دمه. وهٰذا يدلّ عليه دلائل منها قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام : ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه))، ويجد طالب العلم في هٰذا بحثا مفيدا وتحقيقا نافعا في «أضواء البيان» للإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عند قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾[الكهف:٢٠]، مع أنه فيه رجم، هٰذا نوع من الإكراه، قال: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾؛ فذكر رَحِمَهُ

اللهُ تَعَالَى تحقيقًا نافعا، وذكر جملة من الأدلة، وأيضا ذكر هٰذا الحديث –حديث الذباب– وأن الإكراه لم يُتجاوز فيه عمن كان قبلنا وإنما هو حكمٌ خاصٌ بأمّة محمد عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام .

وعلى كلّ فهٰذا الذي دخل النار في ذباب حاله لا تخل من أمرين: إن كان غير مكره ؛ وهٰذا قد يُستفاد من السّياق فالحكم واضح ولا إشكال ، وإن كان مُكرها فيقال: إن العفو بالإكراه إنّما هو خاص بأمة محمد عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام كما يدل لذلك دلائل عديدة وشواهد عديدة في الكتاب والسّنّة، وقد بيّنها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وأختم فيما يتعلّق بهٰذا النّوع من الشّرك الذي أشار إليه المصنّف رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ**» أنّ الشّرك في الذبح يكون من جهتين: من جهة الاستعانة، ومن جهة التقرّب والقصد والنية؛ فهو يكون من جهتين، كما أن الإخلاص في الذبح يجب أن يكون من جهة الاستعانة ، وكذلك من جهة القصد والتقرب.

- والجهة الأولى: جهة الاستعانة؛ بذكر اسم الله جَلَّ وَعَلا على الذّبيحة عند ذبحها مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى على ذلك؛ فإذا ذُكر على الذّبيحة غير اسم الله جَلَّ وَعَلا كان ذلك شركًا في الاستعانة، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الأنعام:١٢١]، إذا تعمّد الإنسان أن لا يذكر اسم الله على الذّبيحة أو ذكر عليها اسم غير الله فلا تحلّ مهما كان الغيْر ، لو قال: باسم المسيح، أو قال: باسم الحسين، أو قال: باسم زينب، أو قال: باسم الجيلاني، أو غير ذلك، إذا ذُكر عليها اسم غير الله لا تحلّ ولا يجوز أكلها ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فهٰذه جهة؛ جهة الاستعانة بذكر اسم الله على الذبيحة تيمّنا بذكر اسمه وتبرّكا وطلبا لعونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وعندما يُضجِعُ الإنسانُ ذبيحتَه على جنبها ويضع السكين على رقبتها أو نحرها ويقول: "بسم الله" يقول ذلك تبرّكا بذكر اسمه وطلبًا لعونه سبحانه ومدّه، والباء في «بسم الله» باء الاستعانة؛ فمعنى قوله «بسم الله» عند الذبح : أي باسمه أذبح ذبيحتي وأقدّم نسيكتي، باسمه مستعينًا به، متبركًا بذكر اسمه جَلَّ وَعَلا ؛ فإذا جُعل هٰذا النّوع من العبادة وهو عبادة الاستعانة لغيره، يضع سكينا على نحر الذبيحة ورقبتها ويقول: بسم فلان أو علان هٰذا من أعظم الشرك، وهو شرك من جهة الاستعانة.
- والجهة الثانية: جهة التقرّب والقصد؛ بأن يقصد بذبحه للذّبيحة غيرَ الله، يذبحها مثل ما مرّ للجن أو للقبر أو لشجر أو لحجر أو غير ذلك هٰذا شرك من جهة التقرّب والتعبد. قد مرّ معنا أن التّقرب بالذّبيحة لا يكون إلا لله

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لا أتقرب به إلا إليه، وكذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، في الحديث الذي مرّ ((لعن الله من ذبح لغير الله)) أي متقربا به لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذًا الإخلاص لله في الذّبح يكون من جهتين: من جهة الاستعانة، ومن جهة العبادة وقصد التقرب، فالذبيحة تكون «بالله»، و«لله»؛ بالله: مستعينا ، ولله: متقرّبا، وإذا كانت جهة الإخلاص في الذبيحة من جهتين بالله أي مستعينا ، ولله متقربا ؛ فإن الشرك في هٰذا الباب يكون على ثلاثة أحوال:

❖ الحال الأولى: أن يُشرك الإنسان في الذبيحة من الجهتين؛ فيستعين في ذبحها بغير الله ، ويتقرب بها لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، بأن يقول عند الذبح: بسم فلان أو علاّن، هٰذا شرك في الاستعانة، وأن يقصد بهٰذا الذبح التقرّب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وهٰذا شرك في العبادة والتقرب؛ فيكون شركه من جهتين: من جهة الاستعانة ومن جهة التقرب.

❖ الحال الثانية: أن يكون الشرك من جهة التقرب ولا يكون من جهة الاستعانة؛ مثل أن يأتي الإنسان بالذبيحة ويقول عند ذبحها: "بسم الله"؛ ولكنه في قلبه قصَد أن يتقرّب بها للقبر أو للجن أو للصنم أو للشجر أو لغير ذلك، فهٰذا شركٌ من جهة العبادة وليس شركًا من جهة الاستعانة، لأنه عند الذبح استعان بالله وذكر اسم الله سبحانه وتعالى؛ ولكنّه في قلبه قصد بها غير الله؛ فهٰذا شرك ناقلٌ من ملّة الإسلام وهو شركٌ من جهة العبادة.

❖ الحال الثالثة – وهي نادرة وقوعًا –: أن يكون الشّرك من جهة الاستعانة ولا يكون من جهة التقرّب، يعني يقصد بذبحها التقرّب إلى الله وابتغاء وجهه سبحانه ؛ ولكنه عند ذبحه لها يذكر عليها غير اسم الله، "بسم فلان أو علاّن"؛ ولكنه من ناحية التقرّب يقصد بها التقرّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

فهٰذه ثلاثة أحوال كلها شرك في باب الذبح . والواجب أن يُخلص العبد ذبحه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى استعانةً وتقربا؛ استعانةً: فلا يذكر على ذبحته غير اسم الله عَزَّ وَجَلَّ ، وتقرّبا : لا يتقرب بذبيحته إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

ثم إذا ذبح الإنسان الذبيحة للحم، ليأكل لحمها أو ليقدّم لحمها لأضيافه، يقال: ذبح ذبيحةً لأضيافه، أو ذبح ذبيحة لأولاده؛ هٰذا النوع من الذبح ليس من باب التقرب وإنّما هو ذبح لأجل اللحم؛ عندما يقال: ذبح لأولاده أو ذبح ليأكل أو ليُطعم ولده ، يقول القائل: "ذبحت ذبيحة لي ولأولادي لنأكلها" هٰذا ليس للتقرب وإنما للأكل، وأيضا قوله "ذبحتُ لأضيافي ذبيحة" ناقة أو شاة أو دجاجة، هٰذا ليس للتقرب، هٰذا للأكل ؛ وهٰذا مباح، وإذا صَحِب ذلك نية صالحة يكون مأجورًا على ذلك، إذا صحبه نية صالحة أن يتقوى بهٰذا الأكل على طاعة الله ، أو أن يطيع الله ويكسب ثوابا في إكرام الضيف والإحسان إليهم يُؤجر، يدخل في باب الثواب

والأجر، وإلا هٰذا العمل مباح، مباح أن يذبح الإنسان الذبيحة ليأكل أو ليطعم ولده أو ليطعم ضيفه، وليس هٰذا من باب التقرب.

ولهٰذا تلبيس المضلّين أرباب الباطل في هٰذا الباب وخلْط الأمور وجعْل هٰذا الباب المباح مثل الباب الذي هم عليه باب الشرك، هٰذا من أسوء ما يكون في التلبيس والتشكيك للناس في عقائدهم، فهٰذا الذبح ليس تقرّب، عندما يذبح الإنسان لولده أو يذبح لأضيافه ليس للتقرّب. ولو خرج عن هٰذا النطاق إلى نطاق التقرّب دخل في باب الشرك، مثل لو جاء إلى الإنسان شخصٌ معظم عنده أو معظم عند الجميع له مكانة لمكانته ومنزلته، عظيم من العظماء، كبير من الكبراء، رئيس من الرؤساء، جاء عنده وهيّأ ذبيحةً إلى أن أقبل عليه الضيف فأراق الدم أمامه، يريق دمها أمامه مُظهرًا تعظيمه وإراقة هٰذا الدم لأجله، هٰذا دخل في باب التقرب، إذا قَصَد التعظيم والتقرب لهٰذا العظيم دخل في باب التقرب ولا تحلّ هٰذه الذبيحة ولا يجوز أكلها؛ لأنّها قُصد بها التقرب لغير الله.

أمّا ذبح الإنسان المعتاد ليأكل اللحم أو ليؤكِل ولده أو ليُطعم ضيفه فهٰذا أمر مباح، وإذا أحسن الإنسان في هٰذا الباب النيّة مثل: أن يتقوّى بأكله على طاعة الله وعبادته، أو أيضا نوى نيّة صالحة ليتصدّق بجزء منه للمساكين طلبا لأجر الله وثوابه، أو أن يُكرم ضيفه تقربا إلى الله عز وجل بهٰذا الإكرام للضّيف، هٰذا يدخل في باب الثّواب والأجر.

الشّاهد أن المصنّف رَحِمَهُ اللهُ مثّل بهٰذا المثال بالذّبح واقتصر عليه، واقتصاره عليه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قصد ذلك؛ لأن هٰذا النّوع من التقرّب يحصل كثيرًا، وخاصة -أنبّه على ذلك وأؤكد- عندما يُبتلى بعض الناس بمصيبة من المصائب أو بنازلة من النّوازل، شخص مثلا تأخّر الإنجاب عنده، وآخر أصيب بمرضٍ طالت مدّته معه، أو نزلت به نازلة أو جائحة؛ فإذا وقع في شدّة ألمه ومُصابه بيد أحد المضلين أوقعوه في مثل هٰذه الأعمال ، وكثيرًا ما يقع العوام والجهّال في التقرّب للأصنام والجن والقبور وغير ذلك من هٰذه الجهة ، يذهب إلى أحد أئمة الضّلال ودعاة الباطل ويقول له: أنا منذ أكثر من عشر سنوات ما أنجبت ولا جاءني الأولاد، يقول له: أبدًا عندي حلّ سريع جدًا ومجرب وكثير فعلوا هٰذا وجرّبوه مباشرة جاءهم الولد، أنت ما تعرف مكانة قبر فلان ومنزلته؟ قبره ترياق المجرّبين وكذا وكذا، خذ ذبيحة واذبحها عند قبره وسترى النّتيجة؛ أمام الجهل وقلة البصيرة وقلة الدّراية وقلة المعرفة بمكانة التوحيد يدخل العوام في هٰذا الشّرك زُرافات ووحدانا، وخاصة عندما يقع استدراج في هٰذا الباب بأن يحصل بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حصول ولد لأحدهم أو شفاء مريضٍ من مرضاهم، يحصل ذلك ويقدر الله عَزَّ وَجَلَّ حصول ذلك فيُستدرج هؤلاء بهٰذا الأمر ويقعون في الشرك، يقولون فلان، يذكرون حالة من الأحوال وينسون مئات الأحوال؛ فيقعون والعياذا بالله في الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ . ودعاة الباطل يستغل حاجة الناس وعوَزهم وفقرهم ونحو ذلك لإيقاعهم وإدخالهم في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا قال نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إنّ أخوف ما أخاف على أمتي الأئمّة المضلين)).

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع

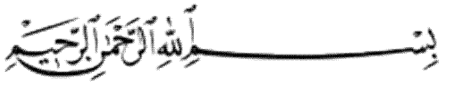

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلّى الله وسلّم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد :

قال الإمام شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له في رسالته (نواقض الإسلام):

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

****

قال المصنّفُ رحمه الله تعالى: «**الثَّانِي**» أي: مِن نواقِضِ الإسلام «**مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ فقد كَفَرَ إِجْمَاعًا**» ؛ هٰذا الناقض داخِلٌ في الناقض الذي قبله، إلا أنّ الناقضَ الذي قبله عامٌّ يشمل كلَّ أنواعِ الشرك وجميعَ أفرادِه، وهٰذا النّاقضُ خاصٌّ في اتِّخاذِ الوسائط الّذين مِن خلالهم يتقرّب العبدُ إلى الله عَزّ وَجَلّ؛ زاعمًا أنّهم يُقربونه إلى الله ويدنونه منه، قال الله عزّ وجلّ عن الكفّار: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، أي: أنّهم اتَّخذوهم واسطة بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليقرّبوهم إلى الله وليُدنوهم منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وعلّلوا هٰذا الاعتقادَ الفاسد والدِّينَ الباطل والكفرَ المشِين بأنّ ذنوبهم كثيرة وتقصيرَهم عظيمٌ، وهؤلاء الوسائط أهلُ جاهٍ عند الله وأهل مكانة ومنزلة، ولأجل ذا اتّخذوهم وسائط يقرّبونَهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن اتّخذ بينه وبيْن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واسطة؛ يعبد اللهَ جلّ وعلا عن طريق هٰذه الواسطة، أو يصرف العبادات لهٰذه الواسطة؛ زاعمًا أنّها تُقَرِّبُه إلى الله عَزّ وَجَلّ فهٰذا من الإشراك بالله جلّ وعلا؛ كما مرّ معنا في الآية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، أي أنّ مقصودهم أن يُقرَّبوا -أو أن يَدْنوا- من الله عَزّ وَجَلّ، وأن يفوزوا بثواب الله؛ فاتَّخذوا هٰذه الوسائط. وهٰذا من الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنّ العبادة بجميع أنواعها -ومنها الدعاء- إنما يُتَّجَهُ فيها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمصَنِّفُ رحمه الله تعالى أفرد هذا النّاقِضَ بالذِّكْرِ معَ دُخُولِهِ في الذي قبله؛ لكثرة وقوع هذا النّاقض في النّاس؛ فهو من أكثرِ أنواع الشِّرك وقوعًا، وأكثرِ ما يكونُ أيضًا تلبيسُ أهل الضّلال وأئمّة الباطل في هذا الباب؛ حيث دخلوا على النّاس وعلى العوامِّ والجُهّالِ ببعض الشُّبهات التي حرفوهم مِن خلالها عن التَّوحيد إلى التَّنديد، كقولهم

عن هذا الشِّرك إنّه وسيلة إلى الله ، وقولهم: إنَّ هذا هو المراد بقوله ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥]؛ قالوا: هٰذه وسيلة إلى الله تعالى، قالوا: هو المراد بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء:٥٧].

و«الوسيلة» بإجماع أئمّة التّفسير وعلماء المسلمين: القربةُ إلى الله؛ بفعل طاعته واجتناب ما نهى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. هٰذه هي الوسيلة. الوسيلةُ التي يبتغى بها ثواب الله وتكونُ بها النجاة من عذابه وعقابه هي أن يفعل العبدُ ما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به، أن يطيعه فيما أمر، وأن ينتهي عما نهى عنه وزجر. هٰذه هي الوسيلة، ﴿ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربَ منه سبحانه؛ بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر ؛ هٰذا الذي يُتَقَرّب به إلى الله، وتُنال به وَلاية الله؛ كما في حديث الوَلِيّ المشهور ((قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)) ؛ هٰذه هي الوسيلة، الوسيلة: التقرب إلى الله بالفرائض ، وإذا وُفِّقَ العبد للفرائض وزاد بفعل النوافل والرغائب والمستحبات كان هٰذا أعظمَ في باب الوَلاية.

ولهٰذا؛ قال أهل العلم: إنَّ الولاية على درجتين دَلَّ عليهما هٰذا الحديث:

الدّرجة الأولى من درجات الولاية -أن العبد وَلِيٌّ من أولياء الله-: المحافظةُ على الفَرائض؛ فالّذي يحافِظُ على الفرائض ويتجنّب المحَرَّمات هٰذا ولي من أولياء الله ؛ الذي يحافظ على الفرائض التي افترضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه ويتجنّب المحرّمات التي نهاها عنه هٰذا ولي من أولياء الله ، وهٰذه هي الدّرجة الأولى من درجات الولاية؛ لأنّ الحديث معروف عند العلماء بـ«حديث الولي»، الحديث كله عن الولي، ومن هو الولي، وما هي مكانته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبدأ ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هٰذا الحديث القدسي بقوله: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا) فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))، بدأه بهٰذا، وهٰذا فيه مكانة الأولياء عند الله أو مكانة أولياء الله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) كأنه قيل: من الولي؟ جاء البيان في الحديث القدسي قال: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ)) ؛ وهٰذه الدّرجة الأولى التي تُنال بها الولاية، ويكون الشّخص بها في عِداد أولياء الله : أن يحافظ على الفرائض ويتجنّب المحرمات. وهٰذا الذي يسميه العلماء: المقْتَصِد، يعني الذي اقتصر على فعل الواجب وترك المحرم.

ثم الدّرجة الثانية: وهي درجة المقَرَّبين أو درجة السّابقين بالخيرات، قال: ((وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ)) .

هؤلاء أولياء الله، وانظر حالَ أولياء الله؛ قال في تمام الحديث: «وَلَئِنْ سَأَلَنِي»، قال: «وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي»؛ الأولياء لا يتخذون الوسطاء بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ بل يدعونه مباشرة، يستعيذون به مباشرة، يلتجئون إليه مباشرة، يخضعون له، يصرفون له دعاءَهم، ذُلَّهم، خضوعَهُم، تَقَرُّبَهُم، مناجاتِهم، كُلُّ ذلكِمُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين. هؤلاء أولياء الله، ومن سواهم أولياء الشَّيطان؛ الذين أطاعوا الشيطان فيما دعاهم إليه من عبادة غير الله، وصَرْفِ التَّقَرُّبِ لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع طاعتهم للشّيطان وعبادتهم لغير الله أوهمهم الشَّيطان أنَّهم أولياء، وظن أيضًا فيهم بَعْضُ النّاس أنّهم أولياء، وهم أولياء للشيطان، ليسوا أولياء لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أولياء الله عَزّ وَجَلّ هم الّذين يحافظون على الفرائض ويتجنّبون المحرّمات؛ هٰذه الدّرجة الأولى. وأعلى منها درجةً: مَن يزيد على ذلك بفعل الرّغائب والنّوافل والمستحبات.

وهٰذا المعنى المذكور في حديث الولي مُقَرَّرٌ في القرآن الكريم في صفة الأولياء؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، كأنّه قيل: مَن هم؟ ما صفتهم؟؛ قال الله عَزّ وَجَلّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣]، هؤلاء أولياء الله. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان والتّقوى؛ فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، فالذي أكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالجمع بين الإيمان والتقوى فهو من أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والإيمان والتّقوى من الألفاظ التي يقال عنها: «إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت» ؛ فاجتماع الإيمان والتّقوى هنا يفيد أنّ الإيمان يتعلق بباب الاعتقاد وفِعْل الأوامر، والتقوى تتعلق بجانب ترك المحرمات والبُعْدِ عن النواهي.

فمعنى قولِه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، أي: الَّذِينَ آمَنُوا بالله وبِكُلِّ ما أمرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإيمان به، وأطاعوه جلّ وعلا فيما أمرهم به سبحانه، وَكَانُوا يَتَّقُونَ أي: يتّقون سخط الله؛ بِتَجَنُّبِ المحَرّمات والبُعْدِ عَنِ الآثام؛ هؤلاء هم أولياء الله. أمّا الذين يدَّعُون الولاية وهم ليسوا من أهل الصلاة، ولا يُعْرَفُونَ بِشُهُودِها والمحافَظةِ عليها، ويُعْرَفُ عنهم غَشَيانُ المحَرَّماتِ وارْتِكابُ الآثام هؤلاء ليسوا أولياء لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وإنّما هم أولياء للشيطان، حتى وإن ادَّعوا -أو ادُّعي فيهم- الولاية؛ قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

والمصيبة العظيمة والبلية الكبرى في هٰذا الباب؛ أن كثيرًا من العوام اخْتُرِقَتْ عقائِدُهم وأديانُهم، وأُضِلُّوا عن سواء السّبيل، من خلال هٰذا الباب -باب الولاية- وادّعاء الولاية في بعض الأشخاص إلى درجة أنِ اتُّخِذَ هؤلاءِ الأولياءُ المزعومون وسائط، ولا يكون تَقَرُّبُ أتباعِهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلَّا من خلال هٰذه الواسطة.

ومن يسمع القَصص في هٰذا الباب يسمع عجبًا؛ أحَدُ هؤلاء الطُّرُقِيّةِ التّائبين من هٰذا الضّلال الباطل يُحَدِّثُنِي شخصيًّا أنه كان يتتلمذ على أحد شيوخ هؤلاء الطُّرُقِيّةِ المضِلّين، وكان غَرَسَ فيه أن يكون ذِكْرُه لِلَّهِ جلّ وعلا بواسطة شيخ الطّريقة، وأعطاه ذِكْرًا مُعَيَّنًا مَلِيئًا بالبدع والخرافات، وقال: تَذْكُرُ اللَّهَ عَزّ وَجَلّ بهٰذا الذِّكر من طريقي. وأيضًا حَدَّدَ له الطّريقة: إذا أراد أن يذكر يأتي بِحَضْرَةِ الشيخ ويكونُ الشيخُ أمامَهُ، ويرى الشيخَ ويَنْظُرُ إليه ويبدَأُ يَذْكُرُ اللَّهَ -بِزَعْمِهِ- مِن خلاله! يقول لي: اضْطُرِرْتُ مَرّةً إلى السفر إلى بلد بعيد؛ فأتَيْتُ له قلتُ له: الآن كيف أذكر الله وأنا سأسافر، وسأكون بعيدًا عنك؟! قال: عند السفر تأتي وأعطيك الحَلّ . يقول: لما أردتُ السفر أتيت إليه، فإذا به مهَيِّئ صورةً لَهُ، قال: خُذْ هٰذه معك؛ ما دام أنه لا تستطيع مباشرة ولو بخلال الصورة يُفِيدُكَ، خُذْ هٰذه الصورةَ معك. يقول: فأخذتُها معي، وكنتُ اشتريت الإتريك هٰذا المضيء، وأختفي عن زملائي داخل البطانية داخل اللحاف، وأضع الكَشّافَ على صورة الشيخ وأبدأ أذكر الله مِن خلاله، وأعتقد أن ذكر الله لا يَصِلُ إليه إلا بواسطة الشيخ!!

مِثْلُ هؤلاء المضَلِّلِين عَنْ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُثُر، وكثيرًا ما يدخل هؤلاء الشيوخ -شيوخ الضّلال- على العوامّ مِن خلال هذا الباب، وغالِبُ صَنِيعِ هؤلاءِ يَرْجِعُ إلى طَلَبِ الزِّعامة والرِّئاسة والمال، وأكْلِ أموال الجُهّالِ والعَوامّ بالباطل؛ باسم الولاية، وباسم المكانة عند الله، والجاه عند الله. فيصبح العوام يعتقدون بهم، وكُلّما عَرَضَتْ لهم حاجةٌ فَزِعُوا إلى الشيخ لا إلى الله، وكلما أَلَمَّتْ بهم مصيبة فزعوا إلى الشيخ والتجأوا إليه لا إلى الله. ولا يبالي بعضُ هؤلاء بأن يقول للشيخ مباشرة: أغِثْنِي.. أدْرِكْنِي.. الْحَقْنِي.. أنْقِذْنِي.. أنا عائِذٌ بك.. أنا مُلْتَجِئٌ إليك.. يقولونها له حيًّا وميّتًا، ولا يلجؤون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي بيده أزِمّةُ الأمور ومَقالِيدُ السّمٰواتِ والأرض.

فهٰذا الباب حصل فيه فساد عريض وإضلالٌ للنّاس كثير؛ ولهٰذا أفْرَدَهُ رحمه الله تعالى بالبيان. قال: «**النَّاقِضُ الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ**» ؛ حَدَّدَ نَوْعَ الوساطة هنا؛ قال: «جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ»؛ لأنّ اتّخاذ الوسائط بين العبد وبين الله جلّ وعلا على نوعين:

النّوع الأول: هٰذا الذي يتحدّث عنه الشّيخ رحمه الله، وهو مِنَ الشِّرك بالله النَّاقِلِ مِن مِلَّةِ الإسلام.

والنوع الثاني: اتِّخاذ الوسائط في إبلاغ دين الله، وهم الأنبياء؛ فالأنبياء واسطة بيننا وبين اله؛ يبلغوننا دين الله، لا نعرف دين الله إلا بواسطة الأنبياء، هم الذين بلغونا دين الله؛ فهم واسطة في إبلاغ دين الله. ولهٰذا؛ انظر في الآيات التي في سورة البقرة المبدوءة بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾؛ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾[البقرة:٢٢٠]، آياتٌ كثيرة مبدوءة بـ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾، يقول الله في كُلِّ ذلك: ﴿قُلْ﴾كذا.. ؛ هٰذا واسطة في إبلاغ دين الله، لا نعرف هٰذه الأحكام، ولا نعرف هٰذه الشرائع، ولا

نعرف هٰذه العبادات، ولا نعرف هٰذه الأوامر، ولا نعرف هٰذه النواهي، إلا بواسطة الأنبياء؛ الأنبياء واسطة بيننا وبين الله في إبلاغ الدِّين؛ لا يمكن أن نعرف شيئًا من دين الله إلا بواسطة الأنبياء.

فالأنبياء واسطة بيننا وبين الله في إبلاغ دينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أمّا عبادة الله، ودعاء الله، فالله يدعى مباشرة، ولا يُتَّخَذُ في الدعاء والعبادة واسطةٌ بين العبد وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهٰذا لما جاء السؤال عن هٰذا النوع اختلفت الصيغة في القرآن؛ قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، حتى ﴿قُلْ﴾ لم تأتِ هنا، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، لم يقل: قل إني قريب؛ ارتفعت ﴿قُلْ﴾؛ لأنه ما فيه واسطة، الدعاء ما فيه واسطة؛ مباشرة تدعو الله، أين ما كنت تدعو الله، في أي مكان تكون تدعو الله. بينما المضلَّلين إذا أراد أن يدعو الله يقول: لا؛ أَذْهَبُ عند القبر أَتَوَسَّطُ به، وإذا لم أَدْعُ الله عند القبر ما ينفع دعائي؛ لأنه ما فيه واسطة – يقول–!!

أو مثل الذي حدّثتكم عنه: الصورة، يخرج الصورة، وإلا يقول: ما ينفع الدعاء بدون الواسطة!! هٰذا نوع من التّضليل العظيم للعوام والجهال، وحرّف لهم عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باسم «الواسطة»، أو «الوسيلة»، أو يسمونها أيضًا «شفاعة»، يقولون: هؤلاء شفعاء لنا عند الله؛ نحن ندعوهم ليشفعوا لنا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وهٰذا عَيْنُ صنيعِ المشركين الأُوَل؛ كما بَيَّنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨].

فهٰذه العبادة لغير الله التي يمارسونها إن سئلوا عنها قالوا: هؤلاء شفعاء لنا عند الله، يعني: لا نقصد بدعائهم إلا أن يشفعوا لنا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهٰذا نبه المصنف هنا، قال: «يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ» ؛ مثل ما قال المشركون الأول: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: نطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله تبارك وتعالى.

«**وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ**»؛ والشفاعةُ جَمِيعًا مُلْكٌ لِلَّهِ ، أليس قد قال الله في القرآن: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزُّمَر:٤٤]، الشفاعة جميعًا ملك لله، ليست مُلْكَ أحَدٍ وإنّما هي ملكُ الله، ولا أحدَ يستطيع أنْ يشفعَ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأحَدٍ كائِنًا مَنْ كان إلا بإذن الله؛ فالشّفاعة ملكٌ لله؛ فمَنْ أراد أن يكون مِمَّنْ يُشْفَعُ له يوم القيامة يَطْلُب ذلك مِنَ الله مباشرة؛ لأنّ الشّفاعةَ بيده، ليست بيد الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو غيرهم، ليست بيدهم ولا يملكونها، الشفاعة ملكٌ لله، الشّفاعة لله جميعًا، وليست بيد أحد كائنًا من كان، ولا يمكن لأحد أن يشفع عند الله إلا بإذن الله. ولهٰذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[سبأ:٢٣]، وقال جلّ وعلا في آية الكرسي أعظم آية من كتابه سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال –جل وعلا–:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦]. ولهذا الشفاعة لا تكون نافعة إطلاقًا إلا إذا أذِنَ الله للشّافع، ورضي عن المشفوع له إلا إذا أذن جلّ وعلا للشافع، ورضي عن المشفوع له. ومَنْ كان كافِرًا مُشْرِكًا يدعو غير الله لا تنفعه شفاعة الشافعين؛ ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدّثّر:٤٨] ، حتى لو قُدِّرَ أنه شفع له عند الله لا تنفع، وقِصّةُ إبراهيم الخليل وهي في صحيح البخاري معَ أبيه يومَ القيامة قِصّةٌ مَشْهُورة، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ أَبَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ: الْآنَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ –خليل الرَّحْمَن، أفضل أنبياء الله بعد نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، اتَّخَذَهُ الله خليلًا – يَا رَبُّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدَ؟! قَالَ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السّلام: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِين))، هذا هو الجواب: «إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ»، ((ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: انْظُرْ؛ فَيَنْظُرُ فَإِذَا بِذِيخٍ)) يعني: يتحول والده إلى هذه الهيئة هيئة الذّيخ وهو الذكر من الضباع، و((يُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، وَيُطْرَحُ فِي النَّارِ)).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، يقول أبو هريرة: إنّ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ذكر يوما الغُلُولَ وعَظَّمَ أَمْرَهُ، وخطب النّاس مُحَذِّرًا منه، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في خطبته وتحذيره من الغُلُولِ: ((لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا رُغَاءٌ –أو شَاةٌ لَهَا ثُغَارٌ–؛ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا؛ قَدْ أَبْلَغْتُك. لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ؛ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا؛ قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ –أي: مَظالِم وحُقوق للنّاس – فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا؛ قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ؛ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا؛ قَدْ أَبْلَغْتُكَ)) ؛ وقَوْلُهُ «صَامِتٌ» أي: ذَهَبٌ وفِضّة، والعَرَبُ يُقَسِّمُون الأمْوالَ إلى قسمين: ناطقة، وصامتة؛ الناطقة التي لها حمحمة، لها رغاء، له ثغاء، بهيمة الأنعام هذه يسمّونها أموال ناطقة. والذّهب والفضّة ونحوها يسمونها أموالًا صامتة. ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ؛ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»؛ قال: «لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا؛ قَدْ أَبْلَغْتُكَ» انظر الواسطة، الواسطة البلاغ، وبلَّغَ البلاغَ المبِينَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ فمَنْ قام بما بلَّغَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيّاهُ وعَمِل بدين الله فازَ ونجا مِن عذاب الله وسَخَطِه. أمّا مَن خالف هَدْيَ النَّبِيّين، وارتْكَبَ أفعالَ المشركين وقال: هذه شفاعة وهذه وسيلة وهذه واسطة؛ هذا لا يحظى بالفوز بثواب رَبِّ العالمين، بل لا ينال إلَّا عقابه.

ولهٰذا أيضًا قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يا رسول الله مَن أسْعَدُ النّاسِ بشَفاعَتِكَ يَوْمَ القِيامةِ؟» قالَ: ((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ))، ولَمّا قال له رَجُلٌ: «يا رسول الله أسْأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجَنّةِ» قال: ((أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)) دَلّه إلى الطّريق، الطّريق: كثرة السّجود، العبادة، الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولَمّا نَزَلَ على نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قولُ الله جلّ وعلا: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشُّعَراء:٢١٤] دعا قُرَيْشًا، دعا أعْمامَهُ، دعا عَمَّتَهُ صَفِيّةَ ، دعا بِنْتَهَ فَاطِمةَ، كلُّهم يقول لهم: ((لَا أَمْلِكُ لَكُمْ شَيْئًا))، قالَ: ((يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا أنزل عليه في القرآن: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨] الأمر لله. ولهٰذا إذا لم يُفْهَمْ هٰذا البابُ على وجهه الصّحيح يَضِلُّ الإنسانُ ضلالًا مُبِينًا، ويَدْخُلُ عليه دُعاةُ الضّلالِ وأئِمّةُ الباطِلِ فيَحْرِفُونَهُ باسم الشّفاعة أو باسم الوسيلة أو باسم الواسطة ونحو هٰذه الأسماء.

قَالَ: «**مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ**»، أي: يَسْأَلُهُم أن يشفعوا له عند الله، يذهب إلى القبور –قبور الأنبياء، أو الأولياء، أو الصّالحين، أو نحو ذلك– ويبكي عند القبر ويُناجي صاحِبَ القبر يدعوه؛ أنا المذْنِبُ.. أنا كَثِيرُ الآثام.. أنا المخْطِئ.. وأنت مُقَرَّبٌ عند الله؛ اشفع لي عند الله! كُن واسِطَةً بيني وبين الله في نجاتي من عذابه!! خُذْ بيدي!!! إن لم تأخذ بيدي من الذي يأخذ بيدي؟! وهكذا في مناجاة متنوّعة، وإذا سئل قال: أن أستشفع به، وأطلب منه أن يكون لي شفيعًا عند الله . إذا كنت تريد الشّفاعة؛ رَبُّ العالمين قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، والشّفاعة مُلك لله، تُطْلَبُ مِن المالِكِ أو مِن غير المالك ؟! قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾؛ فَمَنْ أرادَ أن يَحْظَى بالشّفاعةِ يطلبها مِنَ المالك ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول: اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِيَّ أنبياءَك، اللهم اجعلني مِمّن يشفع فيهم أنبياؤك وأولياؤك وملائِكَتُك ؛ يدعو بهٰذا الدّعاء، يسأل الله، ويُلِحُّ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يَتَوَجَّهُ بالدُّعاءِ والمناجاةِ والخُضُوعِ والذُّلِّ والخُشُوعِ والبُكاءِ إلى غير الله؛ بل يتوجّهُ بِذُلِّهِ وخُضُوعِهِ وانْكِسارِهِ لِلَّهِ ربِّ العالمين جلّ وعلا.

قَالَ: «**يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ**»؛ والتَّوَكُّلُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، ومعنى «يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ»: أي يعتمد في قلبه عليهم، لا على الله، يعتمد في قلبه على هؤلاء الذين اتخذهم وسائط بينه وبين الله، يتوكَّل عليهم في نجاتِهِ من النار، يتوكل عليهم في دخول الجنة، يتوكل عليهم في حصول السّعادة في الدنيا والآخرة، يتوكل عليهم في تفريج همومه وتنفيس كُرُباتِهِ، يتوكّل عليهم في قضاء حوائجه وحَلِّ مَشاكِلِهِ.

والتوكّل عبادة قلبية من أعْظَمِ العباداتِ وأجَلِّها، وهي عبادةٌ تُصَاحِبُ المسلمَ في كُلِّ أموره الدِّينيّة والدنيوية. ونبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام المتوكّلين على الله ربِّ العالمين؛ فهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ المتَوَكِّلُ على الله المعْتَمِدُ على الله المفْتَقِرُ إلى الله في كل حاجاتِهِ وجميع شؤونه، فهو مفتقر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُلْتَجِئٌ إلى الله في كل

حاجته. والتوكّل لا يكونُ إلا على الحيّ الذي لا يموت؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفُرقان:٥٨] أي: وَحْدَه، التوكّل لا يكون إلا على الحي الذي لا يموت، ومَنْ سوى الله إمّا: حَيٌّ سيموت، أو حَيٌّ قد مات، أو جماد لا حياةَ له، وكل هٰذه الأصناف لا تستحق أن يُتَوَكَّلَ عليها ، وإنّما الذي يَسْتَحِقُّ أن يُتَوَكَّلَ عليه ويُلْتَجَأَ إليه وتُفَوَّضُ الأمورُ كُلُّها إليه: الحَيُّ الذي لا يموت؛ كما قال في أعظم آيةٍ مِن كتابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة:٢٥٥].

فالتوكّل والالتجاء والاعتماد إنما يكون على الحي الذي لا يموت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وكان إمامُ المتوكلين صلواتُ الله وسلامُهُ عليه إذا خرج مِن بيته قال: «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وبَيَّنَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنَّ العبد إذا قال ذلك قيل له: «هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ»؛ هٰذه ثلاثة أمور تَحْصُلُ للعبد إذا خرج من بيته وقال: «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، يقال له: «هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ» ؛ «هُدِيتَ» أي: طَرِيقَكَ الَّذِي أنت سائِرٌ إليه، إن كان عبادة، إن كان حاجة دنيوية، مصلحة من المصالح، تُهدى إلى أرشد أمرك . «وَكُفِيتَ» أي: كفاك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أهَمّك؛ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزُّمر:٣٦]، والأمر الثالث قال: «وَوُقِيتَ»، أي: وقاك اللهُ وسلَّمَكَ مِن عُدْوانِ مُعْتَدٍ، أو ظُلْمِ ظالِمٍ، أو بَغْيِ باغٍ. «هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ»، وقال الشيطان لشيطان آخر: «كَيْفَ لَكُمْ بِرَجُلٍ هُدِيَ وَوُقِيَ وَكُفِيَ؟!» ؛ وهٰذا الحديث يدل دلالة واضِحة أنّ الشيطان يبقى مُنْتَظِرًا خارِجَ البيت ينتظر خروج الإنسان من بيته، وهٰذا معنى قوله في الحديث الآخر: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَاعِدٌ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ». ولهٰذا يحتاجُ الإنسان إلى التوكّل على الله في كل مرّة يخرج من البيت، مجرّد ما يخرج من الباب يقول: «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

و«التوكل» عبادةٌ قلبية، وهي: اعتماد القلب على الله، وتفويضُهُ الأمُورَ إليه؛ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾[غافر:٤٤]، يُفَوِّضُ أمْرَهُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جَلْبِ النّفع ودَفْعِ الضُرّ؛ يبذل العبدُ الأسبابَ في جَلْبِ ما يَنْفَعُهُ ودَفْعِ ما يَضُرُّهُ، ولا يعتمد على السّبب؛ وإنما يعتمد ويتوكّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والتوكل شَرْطٌ في الإيمان؛ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]؛ فمَنْ تَوَكَّلَ على غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكون بذلك من المشركين؛ لأنّه صرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولما وقع أقوام في تعظيم القبور والمشاهد والموتى تعظيمًا لا يكون إلا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أصبحوا حتى العبادات القلبية يصرفونها للأموات!! يخافون الأمواتَ خَوْفَ السِرّ، ويحبّون الأموات حُبَّ الذُّلّ والخُضُوعِ، ويتوكّلون على الأموات، تكون قلوبُهُم معتمدةً عليهم، والله يقولُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، وهم يتوكلون على

الأموات، يتوكّلون في قضاء حوائجهم، دَفْعِ الضُّرِّ عنهم، كَشْفِ البلاء على الأموات في قبورهم ؛ وهٰذا كُلُّهُ مِنَ الشرك بالله جل وعلا، واتِّخاذِ الوسائطِ بين العبد وبين رَبِّهِ سبحانه، وهٰذا كلّه من الشرك النّاقل من ملّة الإسلام.

والتوكُّل –كما أسْلَفْتُ– عبادةٌ تصاحِبُ المسلم في كل شؤونه الدِّينية والدُّنيوية؛ فأنت بحاجة إلى التوكُّل في كل لحظة، في كل نَفَس، في كل دقيقة، في كل حركة، تحتاج إلى التوكّل على الله، تحتاج في كل لحظة أن لا يَكِلَكَ إلى نَفْسِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

وأقول هُنا: سبحان الله! مَنْ يَصْرِفُ عبادةَ التوكُّل إلى ميت من الأموات مدفونٍ في قبره، مهما كانت منزلته وعَلَتْ مكانَتُهُ، نقولُ له اسمع : إمامُ المرسلين وسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أجمعين يقولُ في مناجاتِهِ لِرَبِّ العالمين: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»، هكذا يقول في مناجاتِهِ، ووصف هٰذا بأنّهُ «دَعْوَةُ الْمَكْرُوبِ»؛ قال: ((دَعْوَةُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو؛ فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)) أي: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سواك؛ فهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يقولُ ويُوَجِّهُ ويُعَلِّمُ الأمّةَ أن يقولوا في مُناجاتِهِم لِرَبِّ العالمين: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ». فكيف يُتَوَكَّلُ على عَبْدٍ فَقِيرٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له غَناء عن الله؛ بل هو مفتقر إلى الله سبحانه في كلِّ حاجاتِهِ ، وفي كل لحظة ، وفي كل نفَس .

فالعبد بحاجة إلى التوكّل على الله في كل لحظة وفي كل أمر؛ إذا أردت فِعْلَ طاعةٍ أنت بحاجة إلى التوكّل، إذا أردت قضاء حاجة من حاجاتك الدنيوية أنت بحاجة إلى التوكل على الله، إذا أردتَ النّجاة مِن عَدُوٍّ والسّلامةَ مِن أمْرٍ يخيفك أنت بحاجة إلى التوكّل على الله؛ ولهٰذا جاء في الحديث: «كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إذا خاف قومًا قال: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شُرُورِهِمْ» تَوَكَّلْ على الله والْتَجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنت بحاجة إذا أردت أن تتجنب المعاصي والآثام أنت بحاجة إلى أن تتوكل على الله؛ فالتوكل على الله عبادة تصاحب المسلم في كُلِّ أحوالِهِ، في كل أحواله يكون متوكِّلًا. حتى في نومك تحتاج أن تتوكل على الله ليحفظك في نومك؛ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ»، هٰذا توكّل يقال عند النوم.

فالإنسان بحاجة إلى التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل أحواله وجميع شؤونه. فمَنْ صَرَفَ هٰذه العبادةَ العظيمةَ الجليلةَ المبارَكةَ عظيمةَ النّفع مَنْ صرفها لغير الله سواء لمَلَكٍ أو لِوَلِيٍّ أو لِنَبِيٍّ أو غير ذلك وقع في الشِّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنّهُ صرف مَحْضَ حَقِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العباد لغيره مِمَّنْ لا يَمْلِكُ لنَفْسِهِ نَفْعًا ولا ضَرًّا، ولا عطاءً ولا منعًا، ولا حياة ولا موتًا ولا نشورًا.

فهٰذا هو الناقِضُ الثاني من نواقض الإسلام. قال: «**مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ؛ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا**»، أي: بإجماع المسلمين، أهل البصيرة بكتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامُهُ عليه.

وأَخْتِمُ الحديث حول هٰذا النّاقض بالتّنبيه على قاعدة شريفة وعظيمةٍ نبّه عليها المصَنِّفُ رحمه الله تعالى في كتابه «كشف الشبهات»، مستمدّةٍ مِنْ قول الله تبارك وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران:٧] فهٰذه الآية الكريمة من سورة آل عمران تفيد المسلم ولو كان عاميًّا قاعدة شريفة في هٰذا الباب: في السلامة من شبهات أهل الباطل وتلبيسات أئمة الضلال.

والقاعِدة هي: أن يُسْتَمْسَكَ بالمحْكَم، ومن أوضح المحْكَماتِ وأجْلَى الواضِحاتِ الْبَيِّناتِ في كتاب الله: أن الدعاء عبادةٌ لا تُصْرَفُ لغير الله، التوكل عبادة لا يصرف إلا لله، الخضوع والذل عبادة لا يصرف إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والدلائل بالعشرات أو المئات على ذلك في الكتاب والسنة، وخاصّةً عبادةَ الدعاء كَثُرَتِ الأدِلّةُ عليها في القرآن الكريم ، مِن أكثر العبادات ذكرًا لأدلتها في القرآن عبادةُ الدعاء ؛ ومع ذلك كما قال بعض أهل العلم أكثر الشرك في العالمين يكون في الدعاء، أكثر ما يكون الشرك في العالمين في الدعاء ؛ يدعون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مع أن الدعاء من أكثر العبادات ذكرًا لأدلة وجوب إخلاصه لله، والنهي عن صرفه لغيره! ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأحقاف:٥]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[المؤمنون:١١٧]، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الشُّعَراء:٢١٣]، ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر:٦٥]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾[الإسراء:٥٦]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[سبأ:٢٢]. آياتٌ كثيرة جِدًّا في القرآن في وجوب إخلاص الدّعاء، والتّحذير من اتخاذ الشركاء مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع ذلك فالدّعاء من أكثر ما يكون فيه الشّرك في العالمين!

فإذًا القاعدة في هٰذا الباب : أن يَسْتَمْسِكَ الإنسانُ بالمحْكَمِ، ومِنْ أوْضَحِ المحْكَماتِ وأَبْيَنِ الْبَيِّناتِ: أنّ الدُّعاءَ عِبادةٌ لا تُصْرَفُ إلا لِلَّهِ، التَّوَكُّلُ عِبادةٌ لا يُصْرَفُ إلا لِلَّهِ. فإذا جاء أحَدُ الملَبِّسِينَ ودُعاةِ الضّلالِ لِيَصْرِفَ العامّيَّ عن هٰذا المحْكَمِ، وأَوْرَدَ عليه حديثًا لا يَفْهَمُهُ، أو آيةً لَمْ يَعْرِفْ معناها ، أو أوْرَدَ عليه شُبْهَةً؛ فما الطّريقةُ التي ينبغي أنْ يكونَ عليها ؟ وهو لا يعرف مثل هٰذه الأمور، ولا يستطيع أن يخوض معه لا في التمييز بين حديث ضعيف وصحيح، ولا في مناقشة في فهم حُجَّةٍ أو دليل، لا يعرف ذلك؛ فما الذي يَصْنَعُهُ في هٰذا الباب؟!

يرجع إلى المحكم يقول له : الدعاءُ عبادة، وهٰذا أمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ في القرآن الكريم، أَدِلَّتُهُ كثيرةٌ جِدًّا، وهٰذا الذي تَذْكُرُ لي الآن من المتَشابِهِ، ولن أنْتَقِلَ عَنْ هٰذا المحْكَمِ لِشَيْءٍ مِنَ المتشابه الذي ، وإن لم يكن عندي جواب على هٰذا المتشابه الذي تَذْكُرُهُ سَتَجِدُ جوابَهُ عند أهل العلم، أما أنا: لن أتزحزح عن هٰذا المحكم؛ فلن أدعو غير الله، ولن أتوكّل إلّا على الله، ولن ألتجئ إلّا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا أطْلُبَ الشَّفاعة إلا مِنَ الله؛ لأنها مُلْكٌ لِلَّهِ؛ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزُّمر:٤٤].

بمثْل هٰذا يَسْلَمُ الْمُسْلِمُ -بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِن شُبَهِ أهل الضلال، وإن لم يعرف تفاصيل الأجوبة عليها، وتفاصيل الأجوبة على شبه أهل الضلال موجودةٌ عند أهل العلم الراسخين، وهٰذا حَدُّ العامّيّ. ولهٰذا لا ينبغي للعامّيّ أن يَخُوضَ معَ أئِمّةِ الضّلال في تَفْنِيدِ الشُّبُهاتِ، هٰذه ليست للعامّيّ؛ هٰذه لأهل العلم؛ العامّيُّ يكفيه الاستمساكُ بالمحْكَمِ، والإعْراضُ عن شُبُهاتِ أهل الضلال؛ لئلا تَقَعَ في قلبه فَيَزِيغَ.

وأسأل الله عَزّ وَجَلّ أنْ يَحْفَظَ علينا جميعًا دينَنا الذي هو عِصْمةُ أمْرِنا، وأنْ يُصْلِحَ لنا دُنْيانا التي فيها مَعاشُنا، وأنْ يُصْلِحَ لنا آخِرَتَنا التي فيها مَعادُنا، وأنْ يَجْعَلَ الحَياةَ زِيادةً لنا في كُلِّ خَيرٍ، والمَوْتَ راحةً لنا مِن كُلِّ شَرٍّ، وأنْ يَغْفِرَ لنا ولِوالِدِينا ولِمَشايِخِنا ولِلْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ والْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ الأحْياءِ منهم والأموات؛ إنّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد :

قال شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح :

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ الْمُشْرِكِينَ أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

****

هذا هو النّاقض الثّالث من نواقض الإسلام مِمّا ذكره شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى قال: «**الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ الْمُشْرِكِينَ أَوْ يَشُكّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ**» هٰذه أمور إن وُجِدَت في الإنسان كان كافرًا بسبب وجودها فيه، وهي: أن لا يكفِّر المشركين ؛ أي: لا يعتقد كفرهم أو لا يقول بكفرهم أو لا يحكم بكفرهم مع حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكفرهم وحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فمن قال: "لا أكفّرهم" أو "لا أحكم بكفرهم" أو "لا أعتقد كفرهم" أو "لا أقول بكفرهم" أو "هم ليسوا عندي كفّارا" ؛ مع أنّ الله عزّ وجلّ كفَّرهم والرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفّرهم فإنّه كافر. كمن يقول مثلا: "لا أعتقد كفر النّصارى" مع أنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، أو قال: " لا أعتقد كفر اليهود" مع أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكم بكفرهم في مواضع من كتابه، أو قال: "لا أعتقد كفر المشركين" الّذين يعبدون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويتّخذون الأنداد والشّركاء، من قال: "لا أعتقد كفرهم" فإنّه يكفر بذلك، أو قال: "لا أعتقد كفر المجوس، أو كفر الملاحدة، أو كفر المنافقين" أو غيرهم مِمّن جاء القرآن بيان كفرهم وجاء في السّنّة كذلك بيان كفرهم.

فمن لم يعتقد كُفر من كفّره الله أو كُفر من كفّره رسوله صلوات الله وسلامه عليه فإنّه كافرٌ بالله العظيم؛ لأنّه رادٌّ لكتاب الله عزّ وجلّ، ورادٌّ لسنّة نبيّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ومعارِضٌ لحكم الله وحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغير محقّقٍ شرط التّوحيد والإيمان أو أساس التّوحيد والإيمان وشرط قبوله ؛ وهو أن يكفر بما يُعْبَد من دون الله جلّ وعلا ويبرأ من أهل الكفر، وإذا لم يعتقد كفرهم كيف تكون البراءة من الكافرين؟! وكيف يبغضهم؟! وكيف يحقّق أحكام الشّرع المطلوب تحقيقها بين المسلم والكافر ، وهي أحكام كثيرة جاء بيانها في الكتاب والسّنّة ، فكيف تُطبَّق إذا لم يعتقد كُفرهم أو لم يؤمن بكفرهم ؟!

ولهذا فإنّ تعطيل هذا الحكم وعدم الإيمان به -ألا وهو كفر الكافر- يترتّب عليه تعطيل أحكام شرعيّة كثيرة جدّا، يكون الحكم عليها بالإلغاء والتّعطيل وعدم إعمالها ؛ كقوله صلوات الله وسلامه عليه على سبيل المثال: ((لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ)) ؛ إذا كان لا يحكم بكفره كيف يطبّق الحكم ؟! وكون الكافر لا يُغَسَّل ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفَن في مقابر المسلمين كيف يُطَبَّق هذا الحكم وهو لم يعتقد كفره ؟! قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((إِذَا لَقِيتُمْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ)) إلى غير ذلك من الأحاديث الّتي تتعلّق بحال المسلم مع الكافر، فإذا كان لا يعتقد كفر الكافر كيف تُطبَّق هذه الأحكام الشّرعيّة الّتي دلّ عليها كتاب الله وسنّة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه ؟!

فمن أمور الإسلام العظيمة أن يعتقد المسلم كُفر من كفّره الله، وكُفر من كفّره رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، بل الواجب أن نعتقد في هذا الباب أنّ الحكم بالكفر ليس لأحد إلّا لله جلّ وعلا، ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ المبلّغ عن الله عزّ وجلّ، فليس لأحدٍ أن يحكم على أحدٍ بكفر أو شرك أو نفاق أو غير ذلك إلّا بناءً واستنادًا على حكم الله وحكم رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فالأمر لله عزّ وجلّ، والحكم حكم الله جلّ وعلا ، ومن كفّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبيَّن كفره عزّ وجلّ في كتابه فهو كافرٌ يجب أن يُعْتَقَدَ كُفْره وأن يُقال بكفره، فإذا قال قائل: "النّصارى كفّار، أو اليهود كفّار، أو المجوس كفّار أو المنافقين كفّار" هذا ليس حكمًا جاء به من عند نفسه، وإنّما حكم قرأه في كتاب الله، وقرأه في سنّة رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ واعتقد وآمن بما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه ، بل هذا واجبٌ من واجبات الدّين وأساس في الإيمان لا يتحقّق إلّا به، ولا يكون مستمسكا بـ«لا إله إلّا الله» ولا من أهلها إلّا بالإيمان به -بكفر الكافر- ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآية الّتي تلي آية الكرسيّ قال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٥] قال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: بـ«لا إله إلّا الله»، فلا يكون العبد من أهل «لا إله إلّا الله» المستمسكين بالعروة الوثقى الّتي لا انفصام لها إلّا إذا أتى بهذين الرّكنين وحقّق هذين الأساسين : الكفر بالطّاغوت، والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. و«الكفر بالطّاغوت»: هو البراءة من كلّ ما يُعْبَد من دون الله عزّ وجلّ والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)) وقال: ((مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)) .

وقد جعل لنا ربّنا عزّ وجلّ الأسوة في هذا الباب والقدوة إمام الحنفاء خليل الرّحمٰن عليه صلوات الله وسلامه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤] ، فكيف يبغض الكافر

ويعاديه وهو لا يعتقد كفره؟! ولهٰذا فإنّ مِمّا ينتقض به إسلام المرْء عدم اعتقاده كفر الكافر أو عدم إيمانه بكفر من كفَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله.

وهٰذه الأحكام أحكامٌ شرعيّة؛ إيمان العبد بالكتاب والسّنّة يستوجب أن يؤمن بها وأن يعتقدها، وهو جزءٌ من إيمانه بكتاب الله وسنّة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وتبيان هٰذه الأمور وتوضيحها إنّما يُتَلَقَّى من كتاب الله وسنّة نبيّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، جميع هٰذه الأسماء تُتَلَقَّى تُعْرَف معانيها من الكتاب والسّنّة ؛ المؤمن، التّقيّ، البرّ، المحسن، الصّادق إلى غير ذلك، وكذلك أسماء الكفر والفسوق والعصيان تُعْرَفُ بدلائل وشواهد الكتاب والسّنّة؛ الكافر، والمشرك، والمنافق، والمرتدّ وغير ذلك، هٰذه أحكام شرعيّة وجاء بيانها وإيضاحها في كتاب الله وسنّة نبيّه عليه الصّلاة والسّلام ، فمن لم يعتقد بما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ من أحكامٍ فإنّه كافر بكتاب الله عزّ وجلّ وبسنّة نبيّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، غير مؤمن بالله عزّ وجلّ .

قال: «**مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ الْمُشْرِكِينَ**» أي: لم يعتقد كفر المشركين وكفر من يعبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ من المجوس واليهود والنّصارى والوثنيّين والملاحدة وغيرهم، فكلّ هؤلاء كفّار، وكلّ هؤلاء مشركون بحكم كتاب الله عزّ وجلّ وحكم سنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة يقول الله عزّ وجلّ فيها: الكافرون، المشركون، المنافقون، آيات كثيرة: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ويكون المراد بالظّلم: ظلم الكفر ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ويراد بالفسق: الفسق الّذي هو الكفر النّاقل من الملّة، هٰذه أحكام جاءت في القرآن، إذا كان الله يقول عنهم: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ثمّ يقول قائل: "لا أعتقد كفرهم، أو لا أؤمن بكفرهم، أو لا أقول بكفرهم، أو ليسوا عندي كفّارًا، أو لا أرى ذلك " أو يقول: "هٰذا الحكم أرى أنّه شديد" أو "قاسي" أو "غير صحيح" أو "حكم غير مقبول" أو "لا أتقبّل هٰذا الحكم " أو نحو ذلك، فهٰذا ردّ لحكم الله ، والحكم لله سبحانه وتعالى العليّ الكبير، وهؤلاء الّذين حكم الله عزّ وجلّ بكفرهم، وحكم بكفرهم رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قامت بهم حقيقة الكُفر الّتي ينتقل بها الشّخص من الملّة ، ووُجِدَ فيهم نواقض الإسلام الّتي ينتقض بها إيمان الشّخص، ولا يكون من أهل هٰذا الدّين العظيم ، فقامت بهم حقيقة الكُفر فهم أهله وليسوا من أهل الإسلام ، ولا يُحْكَم عليهم إلّا بالكفر الّذي حكم الله عزّ وجلّ عليهم به وحكم عليهم به رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ .

وقوله: «**لَمْ يُكَفِّرْ الْمُشْرِكِينَ**» أي كلّ مشرك حكم الله عزّ وجلّ بكفره وحكم بكفره رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، واليهود مشركون؛ من أعمالهم عبادة غير الله، والنّصارى مشركون؛ من أعمالهم عبادة غير الله؛ يعبدون المسيح ويعبدون أمّه مريم عليها السّلام ، يعبدون غير الله، واليهود يعبدون عُزيرا ويقولون هو ابن الله، والمجوس كذلك عبدة لغير الله عبدة للنّار وغيرها، والمشركون أيضا عبدة لغير الله؛ يعبدون الأصنام والأوثان والأنداد، ويعبدون الموتى،

ويعبدون الشّمس والقمر، يعبدون غير الله، والّذي يعبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويتّخذ مع الله الشّركاء والأنداد يصرف لهم حقّ الله على العباد فهٰذا مشرك وكافر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والّذي حكم بكفره ربّ العالمين، والّذي حكم بكفره رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ؛ فمن لم يكفّر المشركين فهو كافر، من لم يقل بكفرهم أو لم يحكم بكفرهم أو لا يرى كفرهم فهو كافر.

قال: «**أَوْ يَشُكّ فِي كُفْرِهِمْ**» أي يشكّ في كفر من حكم الله بكفره أو حكم رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بكفره، كأنْ يقول قائل مثلا: "أنا عندي تردّد في كفر اليهود أو كفر النّصار؛ اليهود قوم نزل عليهم كتاب وهم أهل كتاب، والنّصارى قومٌ أهل كتاب، نزل عليهم الإنجيل فهم أهل كتاب، فأنا متردّد في الحكم بكفرهم ، أو أشكّ في كفرهم وأنّهم كفّار، أو لا أدري هل هم كفّار أو ليسوا كفّار الأمر ليس مُتيقَّنا عندي " ؛ فمن شكّ في كفرهم، قام في قلبه شكّ في كفر مَنْ حكم الله بكفره فهو كافر؛ لأنّ هٰذا شكٌّ في حكم الله وشكٌّ في حكم رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ومن ردّ على الله أو على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمَهُ أو شكّ في حكم الله عزّ وجلّ أو حكم رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فليس بمسلم، والإسلام : هو الإقرار والتّصديق والإيمان بكلّ ما جاء عن الله وجاء عن رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ، وشهادة أنّ محمّدا رسول الله هي تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عمّا نهى عنه وزجر صلوات الله وسلامه عليه .

قال: «**أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ**» أي اعتقد صحّة مذهب الكفّار، أو قال مثلا: "دين اليهود دينٌ صحيح أو عقائدهم صحيحة ، أو الأشياء الّتي يؤمنون بها والأعمال الّتي يمارسونها صحيحة" ، أو قال: "النّصارى أديانهم صحيحة، أعمالهم صحيحة، عبادة النّصارى عبادة صحيحة" ، أو قال: "العمل الّذي يفعله المشركون عملٌ صحيح ليس كفرًا وليس شركا". «صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ» أي اعتقد صحّة عقائدهم الكفريّة فهو مثلهم وعقيدته عقيدتهم، فمن يصحّح مذاهب الكفّار وعقائد الكفّار وأعمال الكفّار فهو منهم، سواءً صحّحها جملةً كأن يقول: "عقائد الكفّار أو عقائد اليهود صحيحة، عقائد النّصارى صحيحة، دين اليهود صحيح، دين النّصارى صحيح " ؛ سواء صحّحها جملة أو صحّح بعض عقائدهم الكفريّة ولو واحدة من عقائدهم الكفريّة النّاقلة من الملّة إن صحّحها يكون كافرًا ، مثل لو قال قائل: "قول النّصارى عيسى ابن الله هٰذا صحيح" فإنّه يكفر، أو لو قال: "أشكّ في أنّ هٰذا كفر" يَكْفُرُ بذلك ، لأنّ الله عزّ وجلّ قضى بكفر هٰذا وأنّه كُفْرٌ بالله عزّ وجلّ ناقل من ملّة الإسلام.

فهٰذا ناقضٌ للإسلام: «من لم يكفّر المشركين أو يشكّ في كفرهم أو صحّح مذاهبهم كَفَرَ» ، والمسلم الّذي رضي بالله عزّ وجلّ ربّا، وبنبيّه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا، وبالإسلام دينا ؛ هو من قامت به حقيقة الإسلام، ومِن حقيقة الإسلام البراءة من الطّاغوت، البراءة من كلّ ما يُعْبَد من دون الله، والبراءة من أهله ومعاداتهم

وبُغضهم في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن لم يكن كذلك فليس بمسلم ؛ لأنّه –كما تقدّم– مصادم لحقيقة ما دلّ عليه كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه .

ونكتفي بهٰذا، والله تعالى أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد.

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا في كتاب «نواقض الإسلام»:

الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

****

الحمْد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد :

هذا هو النّاقض الرَّابِعُ من نواقض الإسلام التي ذكرها شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له.

قال: «**مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ**» ؛ هٰذا النّاقض يرتبط بشهادة أنّ محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله، واللهُ عزّ وجلّ لا يقبل من أحد «لا إله إلَّا الله» إلا إذا ضمّ إليها وقرن بها «محمّدٌ رسول الله» ، وعلى هاتين الشهادتين قيام الدين، و«لا إله إلَّا الله» فيها توحيد الرّب جلّ وعلا بالعبادة، و«محمّد رسول الله» فيها تجريد المتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونبيّنا محمّد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هو خاتم النبيين وخير المرسلين، وشريعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خير الشّرائع وأتمّها وأكملها؛ وكتابه الذي أُنزل عليه أعظم الكتب وأجلُّها، وبشريعته خُتمت الشَّرائع وبعد بعثته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يقبل الله عزّ وجلّ عمل عامل إلا إذا كان وفق هديه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه .

وشريعته تامّة كاملة عقيدةً وعبادةً ومعاملةً وخُلقا ؛ قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٤] ، وما ترك خيرًا إلا دلّ الأمة عليه ولا شرًا إلا حذّرها منه ، بلّغ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ

وَالسَّلاَمُ البلاغ المبين ، وأتمّ الله عزّ وجلّ به الدين وأكمل به النِّعمة ، ولم يمت عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حتى أنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ومن شهد أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله ؛ فإنّ هٰذه الشهادة تقتضي أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدّقه فيما أخبر، وأن ينتهي عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما جاء عنه صلوات الله وسلمه عليه. ولأجل ذا أرسل الله الرسل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء:٦٤]؛ فالرّسل عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ إنما أرسلهم الله جلّ وعلا ليطاعوا ولتقتدي بهم البشرية وليسيروا على نهجهم وليتّخذوهم قدوة لهم؛ ولهٰذا قال الله عن خاتمهم صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه : ﴿لقدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

ولهٰذا لا يتحقّق الإسلام إلّا إذا حقّق العبد هٰذا الأصل الذي عليه يُبنى ، كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله)) ؛ فهاتان الشّهادتان هما أعظم أساس يُبنى عليه دين الله، ولا قيام للدِّين إلّا على هٰذا الأساس، وهٰذا معنى قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في حديث معاذ بن جبل الطّويل وفيه قال له عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟)) قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))؛ قال: «رأس الأمر الإسلام» ومعلوم مكانة الرّأس من الجسد، وأن الرّأس إذا قُطع أصبح الجسد جثّة هامدة ، قال: «رأس الأمر الإسلام» والإسلام: هو الاستسلام لله بالتّوحيد والانقياد للرّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ طواعية والامتثال والإيمان بما جاء به صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه .

فإذا لم يقم هٰذا الأصل في القلب فلا إسلام ولا دين، ولا يقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من العامل عمله. فهٰذا الأساس الذي يبنى عليه دين الله؛ ولهٰذا كان نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إذا أتاه الآتي الرّاغب في هٰذا الدين أوّل ما يعرض عليه الشهادة «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّد رسول الله» هٰذا أول ما يعرض على من يريد الدخول في هٰذا الدين؛ لأن هٰذا أساس الدين الذي عليه يبنى دين الله جَلّ وَعَلاَ ، فإذا ناقض أحدٌ هٰذا الأساس لم يقم له دين بل ينتقض دينه، ولهٰذا سمى المصنف رَحِمَهُ الله هٰذه الأمور «نواقض» لدين الإسلام؛ لأن الدين ينتقض وتنحل عراه ولا ينتفع بعمل ولا عبادة ، لأن هٰذه النّواقض تفسد الدِّين وتبطله، كما أن الصلاة بدون طهارة لا تُقبل فكذلك دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بدون هٰذه الأصول لا يُقبل، فإذا ناقض إنسانٌ هٰذه الأصول لم يقبل الله جَلّ وَعَلاَ منه دين.

ولهٰذا أيُّ دينٍ وأيُّ إسلام وأي إيمان عند من يرى أن هدي غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من هديه!! أو أن حكم غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من حكمه؟! أين دين من كان كذلك؟ أين إيمانه أين إسلامه إذا كان بهٰذه الصفة؟!

ومن كان يعتقد أن هدى غير النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خيرٌ من هديه وأن حكم غيره أحسن من حكمه لم يحقق هٰذا الأصل العظيم؛ وهو الشهادة لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، لم يحقق أن شهادة محمّد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شهادة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله تتضمن الإيمان به وبصدقه وأنه بلَّغ البلاغ المبين، وأنه ما ترك خيرًا إلا دلّ الأمة عليه ولا شرًا إلا حذرها منه ، وأن خير الهدى هديه، و خير الحكم حكمه، وخير الشّرائع شريعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كل يوم جمعة إذا خطب النّاس كما في حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقول: «أمّا بعد.. فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». فكان يكرر ذلك كل جمعة؛ لأن هٰذا أصل يقام عليه الدين وأساس تبنى عليه الملة؛ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كان إنسانٌ يعتقد خلاف ذلك أين الدين؟ وأين الإسلام؟ وأين الإيمان إذا كان يعتقد أن هدى غير النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خير من هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! كمن يعظِّم هدي أو طريقة أو سنن أو أعمال الكافرين من يهودٍ أو نصارى أو مجوسٍ أو غيرهم يعظِّم هديهم ويفخِّم أعمالهم ويرى أنها خيرًا من هدى الإسلام، وخيرًا مما جاء به النّبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فمن كان بهٰذه الصفة أين إسلامه وأين دينه!!

.

ولقد امتدح الله عزّ وجلّ في القران الكريم وأثنى على نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بقوله جَلّ وَعَلاَ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]. قال أئمة التفسير من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان: أي على دين كامل دين تام من كل وجه. ولما سُئلت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خُلق النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قالت: «كان خلقه القرآن»؛ أي أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عمِلَ بأحكام القرآن وهدي القرآن وآداب القران وأخلاق القرآن؛ عمل بها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ على التمام والكمال؛ فكان أعبد الناس لله وأعظمهم خشية له ، وكان أحسن النّاس خُلقا وأزكاهم أدبًا وأطيبهم معاملة وأجملهم معاشرة صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه ، وسيرته أعطر سيرة وأدبه أزكى أدب وخُلقه أجمل الخلق ومعاملته أحسن المعاملة ، وليس أحدٌ من النّاس مهما علا شأنه وارتفعت مكانته أكمل من هديه وأدبه وخُلقه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه ، وكل من يطالع سيرته العطرة وأدبه الرّفيع وخلقه الفاضل يعلم ذلك ، حتى إنه في زمانه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كان يأتي إليه الرّجل وليس على وجه الأرض أبغض إليه منه، فما أن يراه ويرى خُلقه العظيم

وأدبه العالي الرفيع إلا ويتحوّل من لحظته وليس على وجه الأرض أحب إليه منه، وقد قال الله تعالى في هٰذا المعنى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩].

فمن اعتقد أن هدى غير النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خير من هديه فهو كافر بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ كافر بدين الإسلام ،كافر بالله العظيم، لا يقبل الله عزّ وجلّ منه عمل. ومن يقول هٰذه الكلمة ما عرف هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وإلا من عرف هديه حق المعرفة وقارنه بهدى غيره لوجد الفرق شاسعًا والبون واسعا، وهل يسوَّى الثرى بالثريا؟ هل تسوَّى الظلمات بالنور؟ هل يسوَّى الباطل بالهدى؟ سبحان الله! كيف يتأتى من عاقل عرف هدى النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ويقول مثل هٰذه المقالة! أو يتلفّظ بمثل هٰذه الكلمة! أو يعتقد بمثل هٰذه العقيدة!! ولهٰذا فإن وجود مثل هٰذا الاعتقاد ناقلٌ لصاحبه من ملة الإسلام، إذا اعتقد أن غير هدى النبي عليه الصلاة والسلام خير من هديه ، أو اعتقد أن حكم غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من حكمه ، وقد قال الله تبارَك وتعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠] ، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَا للهَ﴾ [يوسف:٤٠]. والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إنما حكم بين الناس بحكم الله، فهو مبلغ عن الله جَلّ وَعَلاَ ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤].

قال رحمه الله: «**كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ**»؛ و«الطاغوت» هٰذه الكلمة مشتقة من الطُّغيان وهو تجاوز الحد، ؛ فمن تجاوز الحد في أيّ باب من أبواب الدين كأن يعطي غير الله عَزّ وَجَلّ شيئا من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإنّه يكون بذلك عبَد الطاغوت ؛ ولو لم يركع له ويسجد، ولما سمع عديّ قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١] قال للنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ما كنا نعبدهم»، قال: ((أليس يحرمون الحلال فتحرمونه، ويحلون الحرام فتحلونه؟)) قال: بلى، قال: ((تلك عبادتهم)) . فالعبادة كما أنها تكون بالركوع والسجود والدعاء تكون كذلك في التحاكم، وتكون بالأصول والأسس التي يبنى عليها الدين ، فمن تحاكم إلى غير حكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهو متحاكمٌ إلى الطاغوت ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

فهٰذا هو النّاقض الرابع من نواقض الإسلام: «**مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ**» أي كفرًا أكبر ناقل من ملة الإسلام.

قال رحمه الله تعالى :

الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ فَقَد كَفرَ.

****

قال رحمه الله تعالى: «**الناقض الخَامِسُ من نواقض الإسلام : مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ فَقَد كَفرَ**» ؛ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي من العقائد التي جاء بها، أو العبادات التي أرشد إليها، أو الأخلاق والآداب التي دعا إليها صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه ، من أبغض شيئًا من ذلك؛ أي ولو قلّ ، قام بقلبه بغض وكراهية لشيء مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فقد كفر.

وهٰذا ينبني على ما سبق؛ من اعتقد أن هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الهدي، لا يمكن أن يبغض شيئا مما جاء به؛ لأن هديه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خير هدي ، ولا يقارن هدى غيره بهديه ، فهديه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أتم الهدي وأكمله.

فـ«مَنْ أَبْغَضَ» أي كره ، والبغض والكراهة عمل من أعمال القلب، فإذا أبغض الإنسان بقلبه وكره شيئا مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فإن هٰذه البغضة والكراهة منافية لأصل الإيمان به والشهادة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله ، لأن مقتضى هٰذه الشهادة تلقي ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بالقبول والاطمئنان والارتياح والغبطة وأن لا يجد في صدره الحرج ؛ بل يكون مرتاح الصدر لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مبلغ عن الله ، عن خالق الخلق ، عن رب العالمين جَلّ وَعَلاَ، مبلّغ يبلغ للناس دين الله ، فوجود شيء من البغض لما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أو بغض شيء مما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مصادم للشهادة بأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رسول الله؛ لأنهإذا شهد أنه رسول الله أي مبلغ لدين الله لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه؛ فإن هٰذا يقتضي ويستوجب أن يتلقى كل ما جاء عنه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه بالارتياح والطمأنينة والقبول ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، فإذا كان في قلب إنسانٍ ما كراهية لشيءٍ مما جاء به صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه أين حقيقة الإيمان به؟ وأين حقيقة الشهادة بأنه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه رسول الله؟!

ولهٰذا قال المصنف رحمه الله تعالى: «**الخَامِسُ**» أي من نواقض الإسلام «**مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا**» و«شيئًا» هنا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم ؛ أي شيئًا قلَّ أو كثُر فإنه يكون بذلك كافرا «مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ فَقَد كَفرَ» ، وجملة ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أمور ثلاثة: أخبار، وأوامر، ونواهي.

❖ أخبارٌ عن أمور مغيبات من أمورٍ سالفات وأمور آتيات وأمور تتعلق بأسماء الرّب الخالق العظيمة وصفاته جلّ وعلا، فمقتضى الشهادة له عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أن تصدَّق أخباره كلها.

❖ وجاء عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بأوامر أمر بالتوحيد، وهو أعظم شيء أمر به ، وأمر بالصلاة ، وأمر بالصيا،، وأمر بالحج، وأمر بالبر والصدق والوفاء والأمانة والإحسان ، أمر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بأوامر كثيرة ، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يأمر إلا بكلّ خير ،كما أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا ينهى إلا عن شر، فما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه ولا شرًا إلا حذرها منه.

❖ وفي باب النواهي نهى عن أمور كثيرة، وأعظم ما نهى عنه الشرك، ونهى عن القتل، نهى عن الزنا ، نهى عن السرقة، نهى عن شرب الخمر، نهى عن الكذب، نهى عن الغش، إلى غير ذلك ، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا ينهى إلا عن شر وضر.

فمن أبغض شيئا مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فقد كفر ؛ إذا أبغض أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بالصلاة، أو أبغض الصلاة، أو أبغض الصيام ،أو أبغض الصدق، أو أبغض الوفاء، أو أبغض الأمانة، أو أبغض بر الولدين، أو أبغض صلة الأرحام، أو أبغض أي شيء مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فإنه يكفر. وكذلك في باب النواهي من أبغض نهي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عن شرب الخمر ، أو أبغض نهيه عن الزنا ، أو أبغض نهيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عن الغش أو عن الخيانة أو غير ذلك فإنه يكفر ، لأن هٰذا البغض يتنافى مع الشهادة له صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه بالرسالة. والواجب على المسلم تجاه ما أمر به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أن يتلقاه بالقبول التام، والانقياد الكامل ، والطواعية والامتثال.

ولشيخ الإسلام رحمه الله تعالى رسالة قصيرة لكنّها عظيمة النفع كبيرة الفائدة سبق أن قرأناها ، ويمكن أن يعنون لتلك الرسالة بـ«واجبنا نحو ما أمرنا الله به» أو نحو ما أمرنا به رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، ولخص رحمه الله تلك الواجبات في سبع أمور ، لخّص تلك الواجبات علينا نحو ما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وما أمرنا به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في أمور سبعة ؛ الأمر الأول: العلم به ، والأمر الثاني: محبته ، والأمر الثّالث: العزم على فعله ، والأمر الرابع: أن نفعله ، والأمر الخامس: أن يكون فعلنا له خالصًا صوابًا ، والأمر السّادس: أن نحذر من محبطات الأعمال ، والأمر السّابع: أن نثبُت على ذلك إلى الممات. وشرح رحمه الله تعالى هٰذه الأمور السبعة شرحًا مختصرًا بضرب المثال الموضّح المبين، وهي رسالة عظيمة النفع كبيرة الفائدة .

ومن ضمن هٰذه الواجبات التي ذكر رحمه الله محبته؛ أن نحب ما جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ من أوامر هٰذا واجب، واجبٌ على كل مسلم أن يحب كل أمْرٍ أمَر به النّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وأن يقوم في القلب محبة لكل ما أمر به النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، ومن الدعاء المأثور عنه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه : «اللهم أني أسألك

حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك». فكل عمل يقرب إلى حب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجب علينا أن نحبه ، يجب أن يقوم في قلبنا محبة له. ولا يجوز كراهية شيءٍ مما جاء به أو جاء عنه صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه ، وهٰذه الكراهية إذا قامت في القلب لشيء مما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فإنها تصادم كل المصادمة لحقيقة الشهادة له صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلْيه بالرسالة، مصادمة لما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تمام المصادمة وهي من محبطات الأعمال ومبطلاتها.

هٰذا معنى قوله رحمه الله تعالى «**مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عليه الصلاة والسلام وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفرَ**» ؛ أي أنه بمجرد وجود البغض في قلبه ولو وُجد منه العمل كفر بالله العظيم ؛ مثل لو أبغض أمر النّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بالصيام لكنه لا يترك الصيام يصوم؛ لكنه يبغض أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصيام ، أو يُبغض الصلاة أو يبغض الحج، أو يبغض الصدق، يبغض شيئًا مما أمر به النّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ولو عمل به يكفر؛ لأنه أبغض الهدى، أبغض الحق، أبغض دين الله ،أو أبغض شيئًا من دين الله ، وفي الذكر الحكيم يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٩]؛ فكراهيّة ما أنزل الله عزّ وجلّ محبط للعمل، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ دينه وحي من الله ربِّ العالمين وتنزيل من الله جل وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٤]. فمن أبغض شيئا مما جاء به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ولو عمل به فإنه يكفر ؛ أي بمجرد قيام هٰذا البغض في قلبه لشيء مما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ .

ونختم بالدعاء المأثور عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : «اللَّهم إنّا نسألك حبّك، وحبّ من يحبّك والعمل الذي يقرّبنا إلى حبّك».

والله تعالى أعلم وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

شرح نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

من الدرس ٧ إلى الدرس ١٠

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٧/٠١ هـ

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لَا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

قال شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبدِ الوهّابِ رحمه الله تعالى وغفر له في رسالته «نواقض الإسلام»:

السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التَّوبة:٦٥-٦٦].

****

هٰذا النَّاقض السَّادِسُ من نواقض الإسلام وهو: «**مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ، أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ**»؛ الاسْتِهْزاءُ هو: السُّخْرِيةُ والتّهَكُّم، وهو نوعٌ من المعارَضةِ وعَدَمِ التَّسْلِيم. ومن المعلوم أنّ الإسلام اسْتِسْلَامٌ ومُوافَقةٌ، وانْقِيادٌ وطَواعِيّةٌ. الاستسلام هو: الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءَةُ والخُلُوصُ مِنَ الشِّرك. فالإسلام مُوافَقةٌ، والاسْتِهْزاءُ معارضةٌ ومخالَفةٌ. ولهذا كان المستهزئ بالدِّين أو بالثَّواب الّذي أعدّه الله سبحانه أو بالعقاب معارِضًا وليس بموافق، وهذا مُصادِم تمامَ المصادَمةِ لدين الله جلّ وعلا ؛ فمن فعل ذلك انتقل من المِلّة وكان من الكافرين؛ لأن الإسلام مُوافَقةٌ، والاسْتِهْزاءُ مُعارَضةٌ. المسلم موافِقٌ مُعَظِّم مُمْتَثِلٌ مُنْقادٌ، والمسْتَهْزِئُ مُعارِضٌ لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهٰذا كان الدِّين مَوْضِعَ اسْتِهْزاءٍ عِنْدَهُ وسُخْرِيةٍ، ولهٰذا يكونُ المستهزئ كافرًا بدين الإسْلام، وليس من المسلمين، ولا يُمْكِنُ أنْ يقوم استهزاءٌ بالدِّين ممن يُعَظِّم دين الله عزّ وجل ويَقْدُرُ شَرْعَهُ حَقَّ قَدْرِهِ؛ بل لا يكونُ الاستهزاء إلا مِنْ مُعارِضٍ لهٰذا الدِّين مُناوِئٍ لَهُ مُعادٍ.

قال: «**مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، أي: مَنِ اسْتَهْزَأ بشيءٍ مِمّا أمَرَ بِهِ الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أو نهى عنه، والدِّينُ أوامِرٌ ونواهي ؛ فمن استهزأ بشيء من الأوامر أو استهزأ بشيء من النَّواهي كفَر، كمن يستهزئ مثلًا بالصَّلاة، أو يستهزئ بالصِّيام، أو يستهزئ بالحج، أو يستهزئ بالبِرِّ والصِّلةِ والإحسان، أو يستهزئ بالسُّنَنِ التي دعا إليها صلوات الله وسلامه عليه، أو يستهزئ بنهي النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عن الرِّبا مثلًا، أو عن الزِّنا، أو عن السَّرِقة، أو عن القَتْل، أو نحو ذلك . فمن استهزأ بشيء مما جاء به الرَّسول بدين الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فهو كافر.

وكذلك من استهزأ بثواب الدين أو العِقاب، بثواب الموافِق وعِقاب المخالِف، من استهزأ بذلك كَفَر؛ كمن يستهزئ مثلًا بالجنّة، أو بشيءٍ مِن نعيمها، وما أعدّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها من أنواع الثواب، فمَنِ استهزأ بالجنّة أو بشيء من النعيم الذي أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنة كفر. وكذلك من استهزأ بثواب الأعمال، تَجِدُ في

أحاديث كثيرة كذا: "من فعل كذا غُفِرَ له" ، من فعل كذا فله كذا ، مَنِ استهزأ بشيءٍ مِن ثواب الأعمال -ولو في حديثٍ واحد- كفر؛ لأن الاستهزاء معارضةٌ لدين الله، وعدم موافَقةٍ واستسلامٍ لشرع الله عزّ وجلّ، وهو منافٍ لشهادة «أنّ محمَّدًا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» كلّ المنافاة.

وكذلك من استهزأ بالعقاب؛ كأن يستهزئ بالنار، أو يستهزئ بشيء مما أعدَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأهل النار مِن عذابٍ وعُقُوبة، أو استهزأ بشيء من العقوبات: "لا يقبل الله له عمل" ، أو: "لا يدخل الجنة" ، أو: "لا يجد ريحها"، أو: "ليس مِنّا" ، أو نحو ذلك، فمن استهزأ بشيء من الثَّوابِ أو استهزأ بشيء من العقاب فقد كفر؛ وذلك أنّ المستهزئ غيرُ مُحَقِّقٍ للاستسلام والموافقة لشرع الله جلّ وعلا والانقياد والطواعية والامتثال؛ بل هو معارِضٌ ساخِرٌ مُتَهَكِّمٌ غيرُ مُعَظِّمٍ لشَرْعِ الله عز وجل ، لم يَقْدُرْ دينَ الله جل وعلا حَقَّ قَدْرِهِ؛ فيكونُ بذلك من الكافرين . فالاستهزاءُ كُفْرٌ أكْبَرُ ناقِلٌ من مِلّةِ الإسلام.

قال رحمه الله: «**وَالدَّلِيلُ**» أي: على ذلك «**قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾**[التَّوبة:٦٥-٦٦] »؛ ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾ الاستهزاء بالله أي بعَظَمَتِهِ أو جَلالِهِ أو كَمالِهِ أو أسمائِهِ وصفاتِهِ جَلَّ وعَلا كُفْرٌ ناقِلٌ مِن مِلَّةِ الإسلام، وتوحيدُ الله جَلَّ وعَلا قائمٌ على تعظيمه، والمستهزئ ليس مُعَظِّمًا لِلَّهِ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزُّمر:٦٧]، وقال اللهُ تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح:١٣] أي: عَظَمةً وتَعْظِيمًا لِلَّهِ عز وجل ؛ فالذي يستهزئ بالله أو بشيء من أسمائه أو بصفاته هٰذا كافِرٌ بالله العظيم كُفْرًا أكبر ناقل مِن مِلّةِ الإسلام، ولو صلى وصام لا يقبل الله منه صلاةً ولا صيامًا.

وكذلك المستهزئ بآيات الله ، والمراد بآياته أي المتْلُوَّة، أي: كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فمن استهزأ بالقرآن أو بشيء من سُوَرِهِ أو بشيء من آياته -ولو آيةً واحِدةً قُرِئَتْ له أو قرأها فاستهزأ وسخر- فإنه يَكْفُرُ بذلك؛ لأنّ هٰذا الاستهزاء قائِمٌ على غير تعظيم الله وتعظيمِ كلامِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك مَنِ استهزأ بالرّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ استهزأ به أو بشيء من أوصافه وأخلاقه وأعماله وآدابه وشمائله صلوات الله وسلامُهُ عليه، أو استهزأ بشيء مِمّا جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنّه يكفر بذلك.

قال الله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهٰذه الآية نَزَلَتْ -كما جاء في كتب التفسير ومنها تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله من طرق- نزلتْ في نَفَرٍ في غزوة تَبُوكَ استهزأوا بالنّبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وبقُرّاءِ الصّحابةِ رضي الله عنهم وأرضاهم، استهزؤوا بهم وقال أحدُهم مستهزئًا ساخِرًا: "ما رأينا مِثْلَ قُرّائِنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكْذَبَ ألْسُنًا، ولا أجْبَنَ عند اللقاء" ، هكذا قال، وهٰذه كلمات استهزاء وتهكُّم وسخرية بالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وبقراء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال: "ما رأينا مِثْلَ قُرّائِنا هؤلاءِ"؛ «قُرّائِنا» يقصد نحن المسلمين، (ما رأينا مِثْلَ قُرّائِنا) يعني: نحن المسلمين.

"مِثْلَ قُرّائِنا هؤلاء أرْغَب بُطُونًا، ولا أكذب ألْسنًا، ولا أجْبَن عند اللقاءِ"؛ (أرْغَب بطونًا) أي: ليس لهم هَمٌّ إلا الأكل، يتهكّم بهم ويسخر ويصفهم بأنهم لا هَمَّ لهم إلا الأكل. وأنهم أهل جُبْنٍ؛ (وأكذب ألسنًا ، ولا أجْبَنَ عند اللقاء): أنهم أهل كذب، وأنهم أهل جبن وخوف. فوصفهم بهٰذه الصِّفات، والحَقُّ أن هٰذه صفات المنافقين، وليست صفات أصحاب النَّبيِّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وحاشاهم، وبَرَّأَهُمُ الله عزّ وجلّ ، فهٰذه ليست صفاتهم. وقول القائل لذلك هو في الحقيقة من باب: رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ، هٰذه ليست صفة الصَّحابة.

والمستهزئ يستهزئ بالنّاس، وفي الغالب أنَّ تلك الصِّفات تكون له، أو يكون مبتلى بها، لكنّه يسخر بأهل الفضل وأهل النُّبْل وأهل المكانة، وَيَتَهَكَّمُ بِهم ويتندَّر، فقالوا هٰذه المقالة: «ما رَأَيْنا مِثْلَ قُرّائِنا هؤلاء أرْغَب بُطُونًا، ولا أكْذَب ألسنًا، ولا أجْبَن عِنْدَ اللِّقاءِ».

فسمعه عَوْفُ بنُ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «كَذَبْتَ، لَأُخْبِرَنَّ بِذلِكَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، وانطلق عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيُبْلِغَ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ويستفاد من هٰذا: أن إبلاغَ وَلِيّ الأمر بمثل هٰذا العُدْوَانِ ومثلِ هذا الظُّلْمِ والبَغْيِ والتَّهَكُّمِ بالدّينِ أو بأهله أو بالرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ من المطالب، مِنَ الأمور المطلوبة، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، قال: «كَذَبْتَ، لَأُخْبِرَنَّ بذلك رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وانطلق عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيُخْبِرَ النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ فوجد أن الْوَحْيَ سَبَقَهُ، ونزل قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. وقد أخَذَ جَماعةٌ من أهل العلم من قولِهِ: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أنّ قائلي هٰذه المقالة كانوا مسلمين، وأنّهم بهذه الكلمة كفروا، وارْتَدُّوا عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكانت كَلِمَتُهُمْ هذه ناقِلةً لهم من المِلّة، قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، قَدْ كَفَرْتُمْ: أي بهذا الاستهزاء، بَعْدَ إِيمَانِكُمْ: أي بعد أن كنتم من أهل الإيمان، كَفَرْتُمْ: أي انتقلتم من الملَّة.

وفي هٰذا خُطُورةُ اللِّسانِ البالِغةِ، وأن الإنسان قد يقول بلسانه كَلِمةً واحِدَةً تُوبِقُ دنياه وأُخْراه، تُهلكه في الدنيا والآخرة، ويُكَبُّ بها في نار جهنم خالدًا فيها أبَدَ الآبادِ. فهٰذا فيه خطورة اللسان، وأنّ الكلمة التي تخرج من اللِّسان ليست بالهيِّنة. ولهٰذا؛ قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)) ؛ فالكلمة التي تخرج من اللسان أخطر ما تكون ، ولهٰذا كان لزامًا على العبد ومتأكِّدًا عليه أن يَحْفَظَ لسانَهُ وأن يَصُونَهُ، وأن لا يتكلَّم بلسانِهِ بكلمةٍ إلا وهو يعلم أنّها خير، ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) ، فلا يتكلَّمُ بكلمةٍ إلا وهو يَعْلَمُ أنَّها خير ، أما إذا كانت الكلمة شرًّا، فلا يجوز أن يتكلَّم بها ، قد يتكلم بها وتُوبِقُه، يقول الرَّجل الكلمة لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النَّار سبعين

خريفًا كما قال ذلك رسول الله ﷺ. قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ وَالْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ)) ، أي: إذا كان الذي سيقوله تأكَّدَ أنه خير قاله، وإلا فلْيَصْمُت.

وما ينوي أو يريد الإنسان التحدّث به لا يخلو من حالاتٍ ثلاث في رؤية الإنسان له قبل التحدث به:

١. إما أن يرى أنه خير واضِح؛ فهٰذا يتكلَّم به، ولا حَرَجَ عليه.

٢. أو يرى أنه شَرٌّ واضِح؛ فهٰذا يجب عليه أن يمنع لسانه منه، وأن يَصُونَ لسانَهُ مِن التكلُّم بالشَّرِّ.

٣. وإما أن تَشْتَبِهَ عليه الكَلِمةُ؛ يريد أن يقول كلمةً لكن اشتبهت عليه، لا يدري هي خير أو شر، الواجب عليه أيضًا في هذا الصِّنف أن يمنع نفسه من قولِهِ ، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)) ، والحديث قوله: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) دليل على ذلك، دليل على أنّ الإنسان لا يتكلم إلا بخير واضح، أما إذا كان ما سيقوله شرٌ أو تردد هل هو شر أو خير فلا يقوله، لا يقول إلا الخير الواضح. قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ وَالْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))

.

الشَّاهِدُ أن هؤلاء قالوا كلمةً –وهي قولُهم: "ما رأينا مِثْلَ قُرّائِنا هؤلاء أرْغَبَ بُطُونًا، ولا أكْذَبَ ألْسُنًا، ولا أجْبَنَ عِنْدَ اللِّقاءِ" – فخرجوا بها من ملَّة الإسلام، ونزل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ؛ جاء الرَّجل الذي قال هٰذه المقالة إلى النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ليعتذر، وأمسك بنِسْعِ ناقة النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راكِبٌ على الناقة، وأخذ يعتذر من الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يقول: إِنَّما كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، أرَدْنا أنْ نَقْطَعَ عَناءَ الطريقِ أي: تَعَبَ السَّفَرِ، السَّفَرُ يَحْدُثُ فيه مَلَلٌ؛ فنُرِيدُ أن نُمْضِيَ السّفَرَ والوَقْتَ، ليس قَصْدُنا ذات الاسْتِهْزاء وذات السُّخْرِية؛ وإنما أرَدْنا التَّسْلِيةَ في الطريق وتمضية الوقت، ما أردنا حقيقة الاستهزاء. قال: إنّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ يعني: قُلْنا هٰذا الكلام من باب الخَوْضِ واللَّعِب، وتَمْضِيَةِ الوقت، لم نقصد حقيقة الاستهزاء؛ إنّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ . فما كان النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يزيد على: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، والرَّجل يعيد، والصّخْر ينكب قَدَمَهُ، وهو يمشي إلى جنب النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْسِكًا بِنِسْعِ النّاقةِ، يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، إنما أردنا قطع عناء الطريق. فما كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يلتفت إليه، وما كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يزيد على: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

فالاستهزاء بالله، أو بالرّسول، أو بدين الله جلّ وعلا، أو بشيء من الدِّين، أو بالقرآن، أو بشيء من آيات القرآن، أو بشيء من أحاديث الرّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ يُذْكَرُ للإنسان مثلًا حديثٌ فيسخر ويستهزئ

بحديث الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هٰذا كُلُّهُ كُفْرٌ ناقِلٌ مِنَ المِلّةِ؛ كما قال الله سبحانه: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهٰذا الاستهزاء، وبهٰذه السّخرية بدين الله عز وجل .

وكما عرفنا بدءًا أنّ السّخرية قائمة على المعارضة للدِّين، والإسلامُ قائم على الموافقة والاستسلام والطواعيّة والامتثال لربِّ العالمين.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتّقين، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد :

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له :

السَّابِعُ: السِّحْرُ؛ وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَر. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢].

****

الناقض السَّابِعُ من نواقض الإسلام العشرة: «السِّحْرُ» ؛ وهو كفر بالله عزَّ وجلَّ كما دلّ على ذلك كتاب الله، قد ذكر المصنِّف رحمه الله تعالى الدليل على كفر الساحر من كتاب الله عزَّ وجلَّ .

والسِّحر سُمّي سحرًا: لخفائه لأنّه يقع في خفاء، وأصل معنى هٰذه الكلمة : ما دقّ ولطف سببه، فالشَّيء الذي يكون وقوعه بخفاء يسمَّى بهذا الاسم، هٰذا أصل معنى الكلمة.

والسّحر يدبَّر بخفاء، ولهٰذا قد يُبتلى الإنسان بمرض أو سَقَم أو نحو ذلك عن طريق السحر ولا يدري ، لأنّ هٰذا الأمر يقع خفاءً، وغالب عمل السَّحرة أيضًا يكون في الخفاء، فيعملون في اللَّيل المظلم أو في العتمة أو يُشعلون نارًا أو بخورًا أو دخانًا أو نحو ذلك ؛ فالسِّحر سمِّي سحرًا: لأنه يقع في الخفاء ، وأهله يتعاملون به في خفاء ، وأمورهم التي يصنعون بها السحر يصنعونها في خفاء، وكلماتهم التي يقولونها لعقد السّحر يعقدونها بخفاء ، بهمهمة وتمتمة وطلاسم، فالسِّحر كلُّه خفاء ولهٰذا سمِّي سحرًا.

وهو في الاصطلاح : عبارة عن عزائم ورُقى وعقد تؤثّر في المسحور بإذن الله عزَّ وجلَّ، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، والمراد إذنه جل وعلا الكوني القدري ؛ لأنّه لا يقع في كون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلاّ شيء قدّره الله وقضاه، ومنه ما يؤثّر في الأبدان فيورث مرضًا وسقمًا ، ومنه ما يؤثر في القلوب فيورث همًّا وغمًّا وشدّةً، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يقتل، ومنه ما يفرِّق بين المرء وزوجه.

والسَّاحر لا يكون ساحرًا إلا بالكفر بالله ؛ لأنَّ حقيقة السِّحر تعاونٌ متبادَل بين من يريد تعاطي السِّحر وبين الشَّياطين ، فيقدِّم لهم خدماتٍ ويقدِّمون له خدمات، فهو عقْدٌ متبادل بين من يريد السِّحر وبين الشَّياطين؛ ولا يكون السَّاحر ساحرًا إلا بالكفر بالله ، ولا يرضى الشَّياطين إبرام العقد معه إلا بالكفر بالله ونبذ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا كان منه ذلك كَفَرَ بالله عزَّ وجلَّ خدموه مقابل الخدمة التي قدّمها لهم في فساد عقيدته هو

من جهة، وإفساد عقائد النَّاس من جهة أخرى، وكلَّما كان السَّاحر أشد كفرا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان ذلك أقوى في السِّحر عنده والتَّأثير فيه.

ولهٰذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٠١-١٠٣]، فهٰذا السياق المبارك في بيان حقيقة السحر وكفر السّاحر في سورة البقرة جديرٌ بأن يتدبَّره المسلم مليًّا في هٰذا الباب؛ باب السّحر ومعرفة حقيقته ومعرفة خطره وسوء عاقبته على أهله، وهذا السِّياق المبارك دلَّ على كفر الساحر من وجوهٍ تبلغ سبعة وجوه كما سيأتي بيانها إن شاء الله.

وقد بدأ جلّ وعلا هذه الآيات في بيان أنّ السِّحر لا يقع ولا يكون الإنسان ساحرًا إلا بمقدّمتين من خلالهما يلج في السِّحر ويكون من أهله وأربابه:

❖ المقدمة الأولى : نبذ الكتاب كتاب الله المنزل؛ بالإعراض عنه، وبإهانته، وبتدنيسه، وبممارسة الأعمال السيئة مع الكتاب، فكلّما كان النّبذ للكتاب أعظم كان ذلك أعظم تقرُّبا للشّياطين وتمكّنا من السحر، قال: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . فهٰذه الخطوة الأولى أو المقدمة الأولى، وهي أول ما تطلبه الشَّياطين ممن أراد أن يتعلم السحر؛ ولهٰذا يطلبون ممن أراد أن يتعلم السحر أن يمتهن القرآن بأن يضع عليه –والعياذ بالله– القاذورات ، أو يضعه في مكان القاذورات، أو –والعياذ بالله– يطؤه بقدمه أو نحو ذلك، يطلبون منه ذلك يتقرَّب بهٰذا العمل وبهٰذا الصَّنيع للشَّياطين، وهٰذا كفر بالله مثل ، هٰذه الممارسات مع كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كفر بالله، أو يطلبون منه أن يكتب القرآن مثلا بالدَّم أو دم الحائض، أو يطلبون منه أن يكتب القرآن منكَّسا عبثًا بكتاب الله جل وعلا، أو يطلبون منه أن يكتب القرآن ويخلط معه أسماء الشَّياطين يملونها عليه، إلى غير ذلك من الصَّنائع والأعمال التي يُراد بها امتهان القرآن. ولهٰذا وُجد في بعض التمائم التي تُعقد وتُصنع على أيدي السحرة، وُجد في بعضها كتابة آيات من القرآن وفي التميمة قِطَع من الدم أو قطع من الرّوث

جنبًا إلى جنب مع كتاب الله، أو فوق الآيات أو على يمين الآيات أسماء شياطين ونحو ذلك امتهانا للقرآن؛ فيعلِّقون على المصاب آيات ممتهنة يتقربون بامتهانها إلى الشَّياطين ويعلقونها على من أرادوا خدمته، فلا يكون السَّاحر ساحرًا إلَّا بنبذ كتاب الله، وكلما كان نبذه لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعظم كان ذلك أمكن له في السِّحر . هذه الأولى.

❖ الثَّانية: اتباع ما تتلوه الشياطين عليه ؛ فكلما كان متبعا لهم مطيعا لهم عبدًا لهم بهذا الاتّباع؛ لأنّ هذا الاتباع عبودية للشياطين وهو كفر بالله، ويدلّ لأن هذا الاتباع والطاعة للشّياطين عبودية لهم حديث عدي بن حاتم لما سمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١] قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا كُنَّا نَعبُدُهُمَ، قَالَ: ((أَلَيْسَ كَانُوا يُحِلُّونَ الحَرَامَ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ الحَلاَلَ فَتُحَرِّمُونَه؟))، قَالَ: بَلَى، قَالَ: ((تِلْكَ عِبَادَتُهُمْ)) ، فاتّباع الشياطين فيما تتلوه وتمليه هذا من العبادة للشياطين، وهذا كفرٌ بالله.

فإذًا بهذين الأمرين وبهاتين المقدمتين يدخل الإنسان في بوابة السِّحر المظلمة وهوّته السحيقة ويكون من الكافرين بالله العظيم. وهذا السياق المبارك دل على كفر السَّاحر من وجوه عديدة:

- الوجه الأول: مستفادٌ من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾[البقرة:١٠١] ، ونبْذُ كتاب الله عزَّ وجلَّ كُفْر بالله؛ لأنَّ الإيمان بكتب الله عزَّ وجلَّ أصل من أصول الإيمان، فإذا نُبذ الكتاب انتفى هذا الأصل وكان الإنسان من الكافرين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- الوجه الثاني: في قوله سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وعرفنا أن هذا الاتِّباع للشياطين نوع من الكفر بالله الناقل من ملة الإسلام، وما تُمليه الشَّياطين لأوليائهم في هذا المقام أمورٌ تُسخط الله عزَّ وجلَّ وتُخرج فاعلها وممارسها من دين الله عزَّ وجلَّ؛ فينتقل بهذا الاتباع للشَّياطين من ملَّة الإسلام.
- الوجه الثالث: في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ؛ حيث برّأ الله عزَّ وجلَّ نبيه سليمان فيما نسبه إليه اليهود زورا وبهتانا أنّه كان يتعاطى السِّحر وأن الملك الذي كان بيده كان بالسِّحر . وقد كانت الشَّياطين بعد أن علمت بموت سليمان وضعت كتب السِّحر تحت كرسيّه، وقالت للنَّاس: إنَّما ملك وما سُخّر له لتعامله بهذا السِّحر في ضوء هذه الكتب التي تحت كرسيه، فبرَّأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه سليمان عليه السلام من فرية اليهود وكذبهم، وهم من أعظم النَّاس كذبا وافتراء على أنبياء الله بل على رب العالمين ، فبرأ الله نبيه من السِّحر

بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، فقوله جل وعلا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ في سياق تبرئة نبيه سليمان عليه السّلام من السحر دليلٌ على أن الساحر كافر، لأن الله برأ "سليمان من السحر بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، فهٰذا الوجه الثالث من الوجوه الدالة على كفر السَّاحر في هٰذه الآية .

- الوجه الرابع: في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، فسمَّى أو وصف تَبَارَكَ وَتَعَالَى صنيع الشَّياطين بتعليم الناس السِّحر بالكفر، قال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فهٰذا الذي يعلِّمه الشَّياطين الناس هو كفرٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما يدل لذلك هٰذا السِّياق ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾.
- قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ وهٰذا هو الوجه الخامس من وجوه دلالة هٰذا السياق على كفر الساحر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فذكر أنَّ الملكين اللّذين أنزلهما تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابتلاء وامتحانا النّاس في هٰذا المقام لا يعلّمان أحدًا السحر إلا بعد إخباره بأنه كفر، ويحذّرانه منه أشد التَّحذير ، ويخبران أنهما فتنة للنَّاس، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فهٰذا فيه دلالة واضحة ظاهرة على كفر السَّاحر.
- الوجه السَّادس: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وهٰذا الوجه السَّادس من الوجوه الدَّالة على كفر السَّاحر في هٰذا السياق ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي نصيب وحظ، ومعلوم أنّ المؤمن الذي لم يكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له خَلاق يوم القيامة، له نصيب؛ مآله إلى الجنة، وهنا نفى الله جلّ وعلا الخلاق –أي النصيب– في حق من كان من أهل السِّحر؛ أي ليس له نصيب يوم القيامة، ومن لا نصيب له يوم القيامة إطلاقًا ليس بمسلم؛ لأن المسلم له نصيبٌ يوم القيامة ومآله دخول الجنة، ولا يخلد في النَّار إلا الكافر، فمن قيل في حقه ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي ليس له يوم القيامة حظ ولا نصيب فهو كافر ليس بمسلم.

- الوجه السّابع من وجوه دلالة هٰذا السياق المبارك على كفر الساحر: قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٣]، لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بالله واتقوا السّحر وكلّ ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ، فقوله جل وعلا في سياق النهي عن السحر وأنه كفرٌ وبيان خطورة السحر وسوء عاقبته ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ وَاتَّقَوْا﴾ دليلٌ على أنّهم ليسوا بمؤمنين ما داموا يتعاطون السِّحر وما داموا من أهله.

فدلّ هٰذا السِّياق الكريم على كفر السَّاحر من وجوه عديدة، وأن السَّاحر لا يكون ساحرا إلَّا بالكفر بالله. والمصنِّف رحمه الله اختصارا اقتصر على وجه واحد من وجوه هٰذا السِّياق المبارك على كفر الساحر، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فهٰذا أحد الوجوه في هٰذا السِّياق المبارك على كفر السَّاحر.

ثم قال رحمه الله : «**السِّحْرُ وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالعَطْفُ**» ؛ أي من أنواع السّحر الصّرف والعطف؛ وهٰذا نوع من أنواع السِّحر الصرف والعطف. والمراد بالصرف: أي صرف المتحابين المتوادّين عن هٰذه المحبة التي بينهما فتنقلب عداوة.

والعطف: عطف المتباغضين لتتحوّل هٰذه البغضاء إلى محبة. وهٰذه البغضاء أو المحبة التي تقع؛ تقع بسبب العزائم والعقد والنّفث الذي يقع من السّاحر، فهي ليست محبة حقيقية ولا أيضا بغضا حقيقيا وإنما هو بتأثير عمل السِّحر في قلب المسحور ، فبسبب تأثير عمل السحر في قلبه يتحول إلى حبّ ما كان يبغضه أو بُغض ما كان يحبه.

وأكثر ما يقع ذلك بين الأزواج ، وليس مقتصرًا سحر الصرف والعطف عليهما؛ لكن أكثر ما يقع بين الأزواج، بذهاب أحدهما إلى السَّاحر لهٰذا الغرض، أو بذهاب عدوٍّ لهما إلى السَّاحر لهٰذا الغرض.

والصّرف بين الزَّوجين يكون بعملٍ يعمله السَّاحر فيؤثر في الزَّوجين تأثيرًا يصرفهما عن بعض ويصرفهما عن محبتهما لبعض؛ فتتحوَّل المحبة إلى بغضاء وتتحول الألفة إلى عداوة وشنآن . والعطف بينهما أيضًا يكون بعمل السَّاحر فتتحوَّل العداوة أو الكراهية إلى محبة، وإذا كان مثلا يرى الزَّوج زوجته على صفة ليست بجميلة أو ليست بحسنة يؤثر فيه السِّحر فيراها على خلاف ذلك ، أو العكس في الصرف؛ تكون زوجته من أجمل النِّساء فبالسحر يراها من أقبح النساء فيُبغضها ويكرهها ولا يميل إليها، وكلَّما رآها يراها قبيحة، حتى أن بعض الناس يخبر في هٰذا الباب وقد كان وقتا طويلا يرى زوجته من أجمل ما يكون وأحسن ما يكون، يقول: عندما أدخل عليها أراها كأنها شيطان ولا أطيق أن أراها، ولا أطيق أن أدخل المكان التي هي فيه، ولا تُقبِل نفسي عليها، وإذا دخلت

البيت الذي هي فيه أحس بكراهية عظيمة ؛ بتأثير السحر؛ هٰذا هو سحر الصرف والعطف. نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يحمينا وذرياتنا وجميع المسلمين من شرّ السّحرة وكيد الفجّار وشر الأشرار بمنّه وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالسِّحر شرٌّ عظيم.

ولهٰذا وجود السَّحرة في مجتمع من المجتمعات وفي بلد من البلدان يعتبر من أعظم الآفات، ومن أخطر الشُّرور ومن أعظم البليّات؛ لأنّ وجود السحرة في المجتمع فسادٌ للمجتمع ومضرّة عليه، لأنّه بالسِّحر يفسُد المجتمع وتنتشر العداوات، وتعظم البغضاء بين النّاس، ويزداد الكيد والمكر بين الزّوج وزوجه، بين الأمّ وابنها، والأخ وأخيه، والقريب وقريبه، والصّديق وصديقه، والرئيس ومرؤوسه، تنتشر عداوات عظيمة جدًّا وشر عريض في المجتمع بسبب السّحرة؛ ولهٰذا وجودهم في المجتمع آفة خطيرة جدًّا ومضرّة جسيمة، ولهٰذا يجب على المجتمع المسلم أن يعمل عملًا جادًّا على عدم بقاء السَّاحر في المجتمع والقضاء عليه؛ وذلك عن طريق ولاة الأمر بالإبلاغ عنه والدّلالة على مكانه حتى لا يبقى في المجتمع وحتى يُقضى على هٰذه الآفة.

وحدّ السَّاحر: ضربة بالسّيف، وعدد كبير من أهل العلم يرون أنه إذا قُبض عليه يقتل دون استتابة، لا يُعرض عليه التوبة وإنما يقتل مباشرة، وفي زمن فائت قُبض على أحد السَّحرة وقتل بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومنّه، ثم وجدوا في بيته كثير من العُقد والطلاسم كثيرة جدا فأُخذت وجُمعت وأحرقت مع التعوّذ وقراءة «قل هو الله أحد» والمعوّذتين وأُحرقت، وعلى إثر ذلك أحس كثير من الناس بأشياء كانت فيهم مبتلين بها انتهت؛ في قلوبهم، في نفوسهم، في أحوالهم انتهت؛ لأن السحر الذي كان وضع لهم أُنهي بفضل الله عزَّ وجلَّ ومنّه.

فالسّحر أو السّحرة آفة عظيمة وخطيرة في المجتمع، وهم من أضرِّ ما يكون عليه، وهم أتباع للشَّياطين وأعوان للشياطين، والشيطان عدو للإنسان لا يريد للمجتمع المسلم إلا الفساد العريض، والسَّحرة أعوان للشَّياطين وإخوان للشَّياطين يعملون عمل الشياطين في إفساد المجتمعات. ولهٰذا يجب على كلِّ مسلم أن يكون ناصحًا لمجتمعه في القضاء على السَّحرة؛ بدلَالة ولاة الأمر على أماكنهم وأماكن وجودهم حتى لا تبقى لهم بقيّة في المجتمع لإفساده وإهلاك أهله.

ومن أعظم المنكرات أن يعالج السّحر بسحرٍ مثله ، فالسَّاحر لا يُؤتى ولا يُطلب من جهته علاج ولا حتى فك السحر؛ لأنّ طلب العلاج من الساحر –ولو كان المراد فكّ السحر الذي في الإنسان– هو تضييع لدين المسحور الذي ذهب إلى السّاحر. فإذا قيل لإنسان مسحور "لا بأس أن تذهب للسّاحر لفكِّ ما بك من سحرٍ" فإن هٰذا يعتبر تضييعًا لهٰذا المسحور وإهلاكًا لدينه ؛ لأنّه إذا ذهب للسّاحر، ذهابه للساحر ضياع لدينه، ولا يمكن أن يتعامل معه السّاحر في فك سحره إلا من خلال خطوات، وهذه الخطوات التي يمليها عليه السّاحر ضياعٌ للدِّين، وحفظ دين الإنسان أولى من حفظ صحته، فإذا كان في الإنسان معاناة من أمر معيَّن ويظن أن ذلك بسبب السِّحر لا يحل له أن يذهب لساحر لحلِّ ذلك ، قد جاء في الحديث أن النبي عليه الصَّلاة والسَّلاَم سئل عن

النُّشرة فقال: ((هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) ، والنّشرة : هي حل السِّحر عن المسحور ، فقال: ((هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَان)) والمراد بالنُّشرة هنا التي هي من عمل الشيطان: ما كانت عن طريق السّحرة؛ وهي لا تحلّ ، أما حلّ السحر باللجوء إلى الله وقراءة آية الكرسي والتعوذ بالمعوّذات والدّعاء وحسن الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والفزع إلى الله بالدعاء، فهٰذا أمر مطلوب ، وهو علاج ناجح ونافع عظيم النَّفع ولا سيما آية الكرسي ، أعظم آية في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الشَّاهد أن السحرة آفة عظيمة وفساد عريضٌ للمجتمعات، فإذا عُلم به يجب أن يُعمل على القضاء عليه وعدم بقائه في المجتمع ، ولا يحلّ أن يدلّ الناس عليه لغرض فكّ السِّحر؛ لأنّ هٰذا يؤدي إلى الإغراق في هٰذه الآفة والتمكين للسحرة والإبقاء عليهم، بزعم أن الإنسان إنما أراد منهم فك السحر عن المسحورين لا أن المراد بذلك تعاطي السحر وأن يكون الإنسان من أهله.

وعودًا على ما بدأتُ به وهو أن دخول الإنسان في السِّحر لا يكون إلا بنبذ كتاب الله والإعراض عن دين الله واتِّباع الشياطين؛ أورد في هٰذا المقام قصّةً سمعتها من أحد الأشخاص حصلت له هو مباشرة، يحدثني يقول: كنت إنسان فقير وعشت فقيرا، فكان لي جار يأتي إليه الناس يطلبون منه أشياء ويتعاملون، فكنت أرى دائما تحت وسادته أموال ويُخرج منها ويعطي النّاس، فجلست عنده يوم وليس عنده أحد وقلت له: هٰذه الأموال أعرف أنت جاري وليس لك ميراثا، وليس لك تجارات وليس لك..؛ فأريد أن تدلني على طريقة حتى أكون مثلك، وأنا جار وأخذ يذكر جيرته له، يقول: فقلت أنا أريد أن أكون مثلك. قال: أنا أدلك على طريقة تكون مثلي؛ لكن تعاهدني عهد أنك جميع الخطوات التي أخبرك بها تفعلها ولا تترك منها شيئا . يقول: فعاهدته، يقول: لكن من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بي أنني نشأت منذ الصِّغر لا أضيّع الصلاة، ولا أبيع في الصلاة ولا أشتري، يقول: الصلاة هٰذه عندي لا يمكن أن أضيعها مهما كان، نشأت على ذلك منذ الصغر ؛ فحفظني الله عزَّ وجلَّ من هٰذه الورطة بهٰذه الصلاة.

يقول: فقال لي تذهب إلى ساحل النهر -بلدهم فيه نهر- مع غروب الشمس، والشمس تغرب بين قرني الشيطان، وهو وقت نهي عن الصّلاة، اختار له هٰذا الوقت، وقت الغروب نزول قرص الشمس ودنوها من المغيب، قال: تذهب عندما يدنو حاجب الشّمس من المغيب وتقف على النهر، يقول: وأعطاني اسما، وذكر لي هٰذا الشخص الاسم؛ اسم من أسماء الشياطين، قال: تقف بخضوع مستقبل الشمس وأمامك النهر وتنادي هٰذا الاسم مرات بصوت وأنت تنظر إلى الشمس، قال: سينشق النهر ويخرج لك كائن حي بصورة قد تكون موحشة، وسيطلب منك طلبات تنفذها مباشرة بدون تردّد – هٰذا يحدثني أنا مباشرة — يقول: فذهبت إلى المكان في الوقت المعيّن وعملت ما طلب مني. يقول: لما ناديت باسمه مرتين أو أكثر انشق النهر وخرج حيوان هيئته موحشة، وقال: فلان – ناداني باسمي – فقلت: نعم، قال: سأطلب منك بعض الطلبات قلت: أنا مستعد، يقول: أول شيء

طلبه مني قال: تترك من الآن الصّلاة. فقال لي محدثي: والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حفظني بالصّلاة. قال لي: وأذكر لكم كلمته بلسانه وبلهجته كما قالها لي ، قال قلت له : (الصلاة دِي ما داير اتركها) ، يقول: مجرد أن قلت هٰذه الكلمة صاح بصوت عالي ورجع. فلقيت جاري بعد وقت يقول: فخاصمني وضربني وشتمني وتكلّم عليّ وقال: أنت أفسدت علي صلتي، وتكلم عليّ كلام قاسي. يقول: حمدت الله أنه حفظني بهٰذه الصلاة، وإلا لو كان إنسان متهاونا في الصلاة يدخل في ورطة عظيمة هي كفر بالله عزَّ وجلَّ ناقل من ملّة الإسلام.

وفي هٰذه القصة من الفائدة: أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنّها حفظ للعبد ووقاية له بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من كيد الأشرار وشر الفجار، وهي أمرٌ ينبغي أن يفزع الإنسان إليه في كل أحواله، ولهٰذا ممّا يُنصح به من ابتلي بشيء من هٰذه الأمور –سُحر أو شيء ذلك– أن يفزع إلى الله بالصلاة، يصلي ويدعو الله ويلجأ إليه ويناجيه، ويطلب مدّه وعونه، وأقرب ما يكون العبد من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو ساجد.

والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد.

الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلّى الله وسلّم عليه وعلى أصحابه أجمعين. أمّا بعد:

الناقض الثَّامِنُ من نواقض الإسلام : «**مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾» هٰذا هو النّاقض الثّامن من نواقض الإسلام العشرة «مُظَاهَرَةُ المشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى المسْلِمِينَ» ، والمظاهرة والمعاونة معناهما متقارب؛ مظاهرة المشركين أو معاونتهم : أي مساعدتهم ونصرتهم وتأييدهم.

قال: «مُظَاهَرَةُ المشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى المسْلِمِينَ» أي لو أنّ إنسانًا نصر المشركين في قتالهم للمسلمين وعاونهم وساعدهم وأيّدهم وظاهرهم فإنّه يكون بذلك كافرًا كفرا أكبر ناقلا من ملّة الإسلام، لأنّ هٰذه المظاهرة والمعاونة لأهل الكفر على أهل الإسلام دليل على عدم قيام الإسلام في قلب من ظاهر المشركين وعاونهم على أهل الإسلام. فإذا كان يظاهرهم ويعاونهم على المسلمين ويحبّ انتصارهم ، ويحب انهزام المسلمين ويفرح بانهزام المسلمين، ويُسرّ بانتصار المشركين ؛ فهٰذا دليل واضح على انتفاء الإسلام وعدم قيامه في القلب ، لأنّ وجود الإسلام يقتضي نصرة أهله ومحبّة انتصارهم، ويقتضي معاونتهم ومظاهرتهم ومساعدتهم ؛ أمّا إذا كان على خلاف ذلك فهٰذا دليل على عدم قيام الإسلام في قلب من ظاهر المشركين وعاونهم على المسلمين. قال: «مُظَاهَرَةُ المشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى المسْلِمِينَ».

قال: **وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ أي الكفار المشركين ﴿ مِنكُمْ﴾ أي من أهل الإسلام ﴿فَإِنَّهُ مِنهُمْ﴾ بمعنى أنّه يكون بذلك كافرًا وينتقض بذلك إسلامه بتولّيه للكفّار ، قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ والتولّي للكفار الذي هو كفرٌ ناقل من ملّة الإسلام هو: المحبّة التامة للكافرين وحب انتصار دين المشركين، ومناصرة المشركين على المسلمين لينتصر دينهم على دين الإسلام، فمن كان بهٰذه الصفة فهو من الكافرين ، قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ﴾ أي من كان بهٰذه الصفة فهو من الكافرين ، من أهل الكفر ليس من أهل الإسلام. وهٰذا فيه أن التولي للكافرين كفرٌ ناقل من ملّة الإسلام، ويدخل تحت التولّي للكافرين محبّة انتصار دينهم ، ونصرتهم ومعاونتهم لينتصر دينهم على دين الإسلام، ومحبتهم لدينهم لا لدنيا، يحبّهم لدينهم، فهٰذا يسمى «تولّي» ، والتولّي كفرٌ ناقل من ملّة الإسلام.

وينبغي أن يفرّق بين التولّي والموالاة:

- التولّي : هو المحبّة التامة ونصرة الكافرين لدينهم، لينتصر دينهم على دين الإسلام، ومحبّة انتصار دين الإسلام وميل القلب إليهم نصرةً وعونًا وتأييدًا ومحبّة؛ فهٰذا يسمّى «تولّي» وهو كفر ناقل من ملّة الإسلام.
- وأمّا الموالاة فهي دون ذلك؛ الموالاة: هي محبّة الكافر لدنيا لا لدينه، أن يحبّه لدنيا لا يحبّه لدينه، وأيضا نصرة الكافر لدنيا لا لدينه، مثل أن ينصر الكافر أو يعينه في قتاله للمسلمين، أو يدلّه على شيء من مخطّطات المسلمين لا لدين الكافر وإنّما لدنيا يريدها من الكافر ، مثل أن يكون له تجارة في بلادهم أو يكون له أهل في بلادهم فيريد أن يكون له يد عندهم، فهو لا يحبّهم ولا يحبّ دينهم ولا يحبّ انتصار دينهم، وليس كارهًا للدّين الإسلامي ولا محبّا لانهزام المسلمين، كلّ هٰذه المعاني ما قامت فيه، لكنّه عاونهم في شيءٍ ما من أجل دنيا له ، مثل تجارة أو أهل أو نحو ذلك؛ فهٰذا لا يكون ناقضا من نواقض الإسلام، وهو إثم ومحرّم وأمر عظيم لكنّه لا ينتقض به إسلامه، انتقاض الدّين يكون بالتولّي كما في الآية الكريمة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي مثلهم كافر.

أمّا الموالاة فهي دون ذلك. ومثل ما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما كتب للمشركين كتابا وبعثه مع امرأة إلى كفّار قريش يخبرهم بأنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطّط لفتح مكّة، فعلم النبي عليه الصّلاة والسّلام أطلعه الله عزَّ وجلَّ على ذلك وبعث بعض الصّحابة وأدركوها في الطّريق ووجدوا الخطاب معها، فأتى بحاطب وأقرّ بذلك، وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «واللهِ مَا فعلتُ ذلك تركا للإيمان أو تخليّا عن الإيمان أو كفرا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكن لِي أهلٌ ومَال فأردت أن يكون لي يدٌ عندهم» ؛ فلم يكن بذلك كافرا منتقلا من ملّة الإسلام ، لأنّ هٰذا ليس تولي للكفّار، لم يتولّ الكفّار، لم يقم في قلبه حب تامٌ لهم، ولم يقم في قلبه رغبة في انتصار الكفر والكافرين وانهزام المسلمين، لم يقم ذلك في قلبه وأخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بذلك، والنّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أقرّه .

فالتولّي: هو المحبّة التّامة للكفّار، وإرادة انتصار دين الكافرين على دين المسلمين ومعاونة الكافرين لينتصر دينهم على دين الإسلام، والفرح والسّرور بانتصار الكفّار وانهزام المسلمين؛ هٰذا تولّي للكافرين وهو كفر ناقل من ملّة الإسلام لا يقع من مسلم، ومن وقع منه ذلك فهو كافر كفرًا أكبر ناقل من ملّة الإسلام.

وأمّا الموالاة : فهي محبّة الكافر لدنيا ومعاونته لدنيا ، ليكون له يد عند الكافر أو نحو ذلك، فهٰذا ليس من الأمور التي ينتقض بها الإسلام وهو من العظائم، وهو ذنب عظيم وجرم وإثم عقوبته عند الله عظيمة لكنّ فاعل ذلك لا يكون به مرتدّا كافرا منتقضًا دينه وإيمانه.

والمصنّف رحمه الله تعالى استدلّ لذلك بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعضُهُمْ أَولِيَاءُ بَعضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١]؛ فالظلم هنا: الكفر.

لأنّا عرفنا فيما سبق أنّ الظّلم له إطلاقات، فتارة يطلق ويراد به الكفر الأكبر الناقل من ملّة الإسلام، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] وقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧] أي الكافرين. وتارة يطلق ويراد به ظلم النّفس بالمعاصي والذّنوب التي هي دون الكفر بالله، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[فاطر:٣٢] ، و«الواو» في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ تشمل الظّالم لنفسه والمقتصد والسّابق بالخيرات؛ فكلّهم يدخل الجنّة؛ لكنّ المقتصد والسّابق بالخيرات يدخلان الجنّة بدون حساب ولا عذاب، وأمّا الظالم لنفسه بالمعاصي والذّنوب فإنّه عرضة للعذاب، وإذا عذّبه الله في النّار فإنّه لا يخلّد فيها؛ إذ لا يخلّد في النّار إلاّ المشرك.

فقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ المراد بالظّلم هنا: هو المعاصي التي دون الكفر والشّرك بالله سبحانه وتعالى، ويدلّ لذلك سياق الآيات؛ لأنّه قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فهم مصطفَون وهم من عباد الله، ثمّ ذكرهم أصنافا ثلاثة: الظّالم لنفسه، والمقتصد والسّابق بالخيرات، ثمّ ختم ذلك بقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي هؤلاء الثّلاثة. ثمّ بعد ذلك انتقل السّياق إلى الكلام عن الكافر الذي ظلمه ظلم كفر فقال جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[فاطر:٣٦-٣٧] ؛ فقوله هنا: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ أي الكافرين.

فالظّلم في القرآن تارة يطلق ويراد به الكفر الأكبر النّاقل من الملّة، وتارة يطلق ويراد به الظّلم الذي هو ظلم النّفس بالمعاصي والذّنوب التي هي دون الكفر والشّرك بالله تبارك وتعالى.

الشّاهد أنّ قول الله عزَّ وجلَّ في هٰذه الآية التي ساقها المصنّف رحمه الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الكافرين . والشاهد أيضا في الآية للمقصود وهو ذكر ناقض من نواقض الإسلام ، قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ أي الكفار، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ أي من المسلمين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي ليس من المسلمين وعرفنا معنى التولي والفرق بينه وبين الموالاة.

ونكتفي اليوم بهٰذا القدر ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشْهد أن لا إلٰه إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى وغفر له:

التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ.

****

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: «**التَّاسِعُ**» أي من نواقض الإسلام «**مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ**» ؛ قوله رحمه الله: «مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ... فَهُوَ كَافِرٌ» هٰذا بيانٌ لناقض من نواقض الإسلام، ودليل هٰذا الناقض وشواهده كثيرة، لأنّ شرائع الإسلام التي بعث الله بها نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي دين الله الذي رضيه لعباده، ولا يرضى لهم دينًا سواه، ومن اختار لنفسه دينًا أو طريقةً أو عملًا غير شرائع الإسلام التي جاء بها النّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فلا يقبل الله منه عمله، قال الله عزَّ وجلّ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال جلّ وعلا : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]، وقال جلَّ وعلا:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]. فالإسلام هو دين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ ، وهو الدِّين الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم دينًا سواه، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾، وهو الدين الذي لا يقبل الله عزَّ وجلَّ دينًا سواه كما قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ولهٰذا بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يسع أي إنسان أن يتعبّد لله بغير شريعته ، أو أن يعمل بأعمال ليست من شريعته؛ فشريعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ناسخة لكل الشّرائع التي قبلها، وكذلك شريعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عامة للبشرية كلها ،لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بُعث للناس كافة، فإذا كانت شريعته بهٰذه الصفة: شاملة لكل خير ، وعامّة لكل البشرية فإنه لا يسع أي أحد كائنًا من كان أن يتعبّد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بغير شريعته، أو يَدَّعي أن له طريقةً مخصوصة غير طريقة النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ بل إن كل طريق يُدَّعَى أنه موصلٌ إلى جنّات النعيم، منجٍّ صاحبه من سخط رب العالمين فهو طريق مسدود، لا يوصل إلى الجنة بل يوصل إلى سخط الله، وليس هناك

طريق يوصل إلى جنات النعيم غير طريق النَّبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، ولهٰذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

وكلّ عمل مهما حَسُنْ في نظر صاحبه ومهما جَمُلْ في تقديره فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يقبله منه ما لم يكن متَّبعًا للنَّبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ))، وفي رواية ((من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه فهو ردّ)) ، ومعنى قوله: «أمرنا» أي ديننا وشرعنا ؛ فكل عمل ليس من شرع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فهو مردود على صاحبه.

وثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنه قال: ((لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلا اتّباعي)) ، فكل من وُجِد بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يسعه إلا أن يتبع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ، فمن ادَّعى أنّ أحدًا من الناس يسعه أن لا يتّبع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وأن يَخْتَطَّ لنفسه طريقةً غير طريقته ونهجًا غير نهجه ويزعم أن ذلك يوصل إلى الله فهو كافر .

وأيضًا عيسى عليه السَّلام عندما ينزل آخر الزّمان من السّماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية؛ لا يحكم بالإنجيل الذي أُنزل عليه وإنما يحكم بالقرآن الذي أُنزل على محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، ويَتَعَبَّد لله جلَّ وعلا بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بالشّريعة التي أُنزلت عليه، فبعد مبعثه صلوات الله وسلامه عليه لا يسع أي أحد كائنًا من كان مهما علا قدره وارتفعت مكانته أن يتبع شريعةً غير شريعته.

وإذا كان الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه صفوة خلق الله وخيار عباده لا يسعهم ذلك ! مثل ما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلا اتّباعي))، أي لا يسع موسى أن يكون على شريعته التي بُعث بها؛ بل لا يسعه إلا أن يتبع النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وموسى عليه السَّلام كليم الله، وهو من أولي العزم من الرسل وهم خمسة، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب:٧]. فهؤلاء الخمسة الذين ذُكروا في هٰذه الآية الكريمة هم أولو العزم من الرسل، ومن هؤلاء موسى عليه السَّلام ، فالنبي مهما عَلَتْ مكانته ومنزلته لا يسعه بعد مبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يتبعه، وهٰذا واضح في قول نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلا اتّباعي))، وعيسى عليه السَّلام عندما ينزل في آخر الزمان إنما يعمل بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهٰذه كلّها شواهد ودلائل قاطعة وواضحة أنّ أحدًا كائنًا من كان لا يسعه بعد مبعث محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إلا أن يتّبع شريعته. ولهٰذا جاء في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمنُ بالذي جئتُ به إلّا كان حقًّا على الله أن يُدخله النّار)) ، لأنه بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

لا مجال للتعبد بأي عمل حتى بالأعمال التي كانت أُنزلت على النبيّين من قبل شريعة نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

بل يجب أن نعتقد أن شريعة نبينا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناسخة للشرائع التي قبلها كلها، فلا عمل بأي شريعة بعد نزول شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وشريعته كما أنها ناسخة للشّرائع التي قبله فهي باقية، فلا شريعة إلى قيام الساعة إلا هي، فليس بعده نبي صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وبموته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ انقطع وحي السّماء، فلا وحي بعد موته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ . لكن هناك نوع من الوحي موجود وباقي!! وهو وحيُ الشّياطين لأوليائهم ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[الأنعام:١٢١] هٰذا موجود، وكم ضَلَّ بهٰذا الوحي أقوام ، ولما قيل لابن عباس رضي الله عنهما إنَّ مسيلمة الكذّاب يَدَّعي أنّه يُوحَى إليه، قال: صدق، ثم تلا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ أي صدق أنه يوحى إليه لكن هٰذا الوحي الذي يأتيه هٰذا وحي الشيطان، أمّا الوحي المنَزَّلْ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهٰذا انتهى وانقطع بموت النَّبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فلا وحي بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهٰذه كلها شواهد ودلائل واضحة وغيرها كثير في كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ واضحة الدلالة على أنه لا يسع أي أحدٍ كائنًا من كان أن يعمل بشريعة غير شريعة النبي صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله : «**مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ**» ؛ وهٰذه شبهة أثارها في هٰذا الباب بعض أئمة الباطل ودعاة الضلال وأرباب الطرق الفاسدة المنْحَلَّة المنحرفة عن دين الله؛ التي يتعبّد أصحابها بأعمالٍ ليست من شريعة الله ولا من دينه، فأثار بعض أرباب الطّرق الفاسدة الضّالة المنحرفة أنّ من الناس من يسعه أن يتعبّد أو أن يأتي بأعمال ليست من شريعة النّبي صلوات الله وسلامه عليه ، وقالوا: مثل ما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى . فالخضر كان موجودًا زمن موسى عليه السَّلام والتقى به، وأتى بأعمالٍ، وكان عنده علومًا ليست عند موسى عليه السَّلام، وعند أيضا موسى عليه السَّلام علوم ليست عنده، فقالوا: أنّ من النَّاس من يسعه الخروج عن شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مثل ما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى.

وهٰذه الشّبهة الزائفة الباطلة جعلوها تُكْأَةً لهم لترويج ضلالهم وباطلهم وبدعهم ومحدثاتهم وعقائدهم الباطلة التي ليست في القرآن ولا في السُّنَّة، فأدخلوا كل باطلهم هٰذا تحت هٰذا الباب، أن من النّاس من يسعه أن يخرج عن الشّريعة مثل ما وسع الخضر أن يخرج عن شريعة موسى، فجعلوا أعمالهم الباطلة مماثلة لأعمال الخضر الصّالحة . شتان بين الهُدى والباطل، والحق والضلال، والكفر والإيمان، وشَبَّهُوا أئمة الضلال الذين يتبعونهم بالخضر عليه

السَّلام ، وادَّعوا لأئمة الضلال الذين يتبعونهم أنَّ عندهم علمًا لَدُنِّيًّا ، أي يأتيهم بوحي خاصّ من الله ليس موجود في الكتاب ولا موجود في السنَّة، وقالوا عن أهل الشريعة المتبعين لسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: هؤلاء يأخذون دينهم مَيِّتًا عن مَيِّتْ، أما أئمتنا فيأخذون دينهم وحيًا من الله مباشرة، يأخذونه من اللوح المحفوظ عن الحي الذي لا يموت .

فهٰذه الشريعة التي يصفونها بأنها تُنُوقِلَتْ مَيِّتًا عن مَيِّتْ، "حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن فلان إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ" ادَّعوا لأنفسهم أن لهم طريقة في تلقي الشرع من الله مباشرة بالمهاتفات والمكاشفات والوحي المباشر والقراءة المباشرة من اللوح المحفوظ، إلى غير ذلك من الكذب والافتراء والقول على الله وفي دينه وفي كتابه بغير عِلْم، بل بالكذب والبهتان المبين؛ وترتب على ذلك فساد عريض وضلال مبين، وأضلوا كثيرًا وضلّوا عن سواء السبيل .

وهٰذا كلّه أُتي فيه هؤلاء من وحي الشيطان، لأن هٰذا الذي هم عليه كلُّه من وحي الشيطان، أخرجهم بهٰذه الطريقة من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى . والشيطان له طريقتان يُخرج بهما النّاس عن الحق والهُدى، بعد أن يعرف مُيولات الإنسان ويُشامَّ قلبه، ففي ضوء ذلك يحرفه عن الصّراط المستقيم من أحد طريقين: إما طريق الشهوة ، أو طريق الشبهة .

وهؤلاء ألقى عليهم هٰذه الشبهة فأهلكتهم وأردتهم وأضلتهم عن دين الله وحرفتهم عن سواء السبيل، وجاء هؤلاء بالكلمة المشهورة عنهم " أن الدين له ظاهر وباطن، له حقيقة وشريعة"، والشريعة هي التي تُتَناقل في الكتب، تُؤخذ من القرآن، تُؤخذ من أحاديث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، والحقيقة هٰذه يقولون: مثل ما كان عليه الخَضِرْ، وأنهم يسعهم ما وسع الخضر بعلوم لَدُنِّية يأخذونها من الله وحيًا مباشرة أو يُكاشَفون أو يُهاتَفون بها، أو يتلقونها من اللوح المحفوظ مباشرة.

وهنا أؤكد على أمرٍ لابد من التأكيد عليه؛ ألا وهو: أن هؤلاء فعلًا يسمعون هِتاف، وفعلًا يُحِسُّون بتَنَزُّلْ، ويُحِسُّون بشيء يُلقى في صدورهم؛ وهٰذا كله من عمل الشيطان ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الشعراء:٢٢١- ٢٢٢]، ففيه تَنزُّل، تتَنَزَّل الشياطين وتعطيهم أشياء وأمور على أنها وحي، وتهاتفهم بأشياء؛ لِيَضِلّ هؤلاء أئمة الضلال، ولِيَضِلّ أيضا من ورائهم أقوام وأقوام . وما هٰذه الطرق المُشَقَّة الضالَّة المنحرفة إلا من زيغ الشيطان وإضلاله للناس عن سواء السبيل؛ مُلئت بالكفر البَيِّن، مُلئت بالإلحاد، بالقول بوحدة الوجود، بالاتحاد، مُلئت بالأذكار والأعمال والطلاسم والاعتقادات الباطلة، مُلئت بالتفلت من قيود الشريعة والانغماس في الذنوب والكبائر، حتى الأمور التي جاء النَّهي عنها صراحةً بأدلة واضحة كالنّهي عن الزِّنا، النَّهي عن شرب الخمر، النَّهي عن السرقة ...الخ ، جميع هٰذه النصوص ادَّعوا أنها هٰذه للمحجوبين عن الحقيقة،

أما الذين وقفوا على الحقيقة التي يَدَّعون أنها مثل الحقيقة التي أكرم الله بها الخَضِر فهؤلاء تسقط عنهم مثل هٰذه الأعمال ولا تلزمهم، ولهٰذا وقع فسادٌ عريض بسبب هٰذه الشبهة ، أن من الناس من يسعه أن يخرج عن دين الله جلَّ وعَلا كما وسع الخضر أن يخرج عن شريعة موسى عليه السَّلام .

قال: «**مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ**» ؛ وهٰذه الشبهة والتَّنْظير –تَنْظِير عمل هؤلاء بعمل الخضر– تَنْظِيرٌ فاسد، لأمور وأسباب كثيرة جدًا بَيَّنَها أهل العلم ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية له أجوبة مختصرة ومُفصَّلة على هٰذه الشبهة، وكذلك لغيره من أهل العلم.

ومن هٰذه الأجوبة التي ذكرها أهل العلم: أنَّ شريعة موسى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كانت خاصَّة، وشريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كانت عامَّة للنَّاس كافّة، أرسله الله عزَّ وجلَّ للناس كافَّةً بشيرًا ونذيرا ، أرسله الله رحمةً للعالمين ، ولهذا جاء في الحديث عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنه قال: ((أُعطيتُ خمسًا لم يعطهن نبي قبلي)) وذكر منها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنَّ كل نبي يُبعث في قومه خاصَّة قال ((وبُعثت للنَّاس كافَّة)) ، فشريعته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ للعالمين، وكلُّ أحد وُجِدَ بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يسعه أي شريعة إلا شريعته؛ لأنه بُعث للعالمين وشريعته للعالمين، أمّا شريعة موسى عليه السَّلام فكانت خاصة بقومه بني إسرائيل. ولهٰذا كما سيأتي معنا لما التقى موسى عليه السَّلام بالخَضِر وعَرَّفَهُ بنفسه، قال: أنا موسى، قال له: موسى بني إسرائيل ؟ فمعروف في زمانهم أنّه بُعث عليه السَّلام في بني إسرائيل، فلا يمنع أن يكون هناك شرائع موجودة في بقع من الأرض أخرى بُعث بها أنبياء، أو باقين على دين أنبياء، بل ثَمَّةَ قولٌ قوي لأهل العلم أن الخضر نفسه عليه السَّلام نبي من أنبياء الله – والمسألة فيها خلاف معروف بين أهل العلم– لكن هناك قول قوي لجماعة كبيرة من أهل العلم أنه نبي وله شريعة خاصة بُعث بها، كما أن موسى عليه السَّلام له شريعة خاصة بُعث بها، والله قال في القرآن: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، فهو له شريعة بعثه الله بها، وموسى عليه السَّلام له شرعة بعثه الله بها، فكيف يأتي هؤلاء المضِلُّون ويقولون: يسعنا ما وسع الخضر ؟! الخضر خرج عن شريعة موسى ونحن نخرج عن شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ . فهٰذا من أعظم الفِرَى، وأكبر الكذب، وأفسد القياس، وهو قولٌ باطل، وهو سبب لضلال هؤلاء وإضلالهم للناس عن دين الله وعن سواء السبيل .

وقصة لقاء موسى عليه السَّلام بالخضر جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة الكهف، وأيضا ذكرها النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم كما في صحيح البخاري وغيره، يقول أُبَيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: ((قام موسى النَبِيُّ عليه السَّلام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئِل: أيُّ الناس أعْلم؟ فقال: أنا أعْلم -يعني أنا أعلم الناس- فعتب الله عليه، إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك)) وفي القرآن قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[الكهف:٦٠]، ..الخ السياق . قال: ((هو أعلم منك، قال: يارب وكيف به ؟ فقيل له: احمل حوتًا في مِكْتَلْ فإذا فقدْته فهو ثَمَّ- متى فقدت الحوت فهو في المكان، أو قريب من المكان الذي تفقد فيه الحوت -فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتًا في مِكْتَلْ؛ حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما ، فانْسلَّ الحوت من المِكْتَلْ فاتخذ سبيله في البحر سربا - وهٰذه آية من آيات الله وجعلها الله علامةً يهتدي من خلالها إلى مكان الخَضر عليه السَّلام- وكان لموسى وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما فلمَّا أصبحا قال موسى لفتاه: آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هٰذا نصبا، ولم يجد موسى مسًّا من النصب حتى جاوز المكان الذي أُمر به)) يعني الذي انسلَّ فيه الحوت ودخل في الماء ((فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنّا نبغي)) يعني هٰذا الذي جئنا لأجله، لأن هٰذه علامة وضعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لموسى عليه السَّلام ليهتدي إلى المكان الذي فيه الخضر، قال: ((ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مُسَجَّى بثوبٍ، أو قال: تَسَجَّى بثوبه -يعني غطى نفسه بثوبه- فسلَّم موسى يعني ألقى السلام عليه فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السَّلام)) بأرضك: يقصد الأرض التي فيها موسى الآن، ولهٰذا جاء في بعض الروايات جاء بلفظ ((وأين في أرضي السلام؟)) أو قريبًا من هٰذه اللفظة، قال: ((أنَّى بأرضك السلام ؟)) من أين يوجد السّلام ؟ وهٰذا فيه تنبيه: إلى ضلال الناس وانحرافهم عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فمع وجود الخضر بينهم قال: وأنَّى بأرضك السَّلام ؟ يعني من أين يأتي السلام؟ مشيرًا إلى الحال التي عليها الناس. ((قال: وأنَّى بأرضك السَّلام؟ فقال: أنا موسى -عرَّفه موسى عليه السَّلام بنفسه قال: أنا موسى- قال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم)) يعني موسى الذي بعث إلى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، وهٰذا أيضا يوضح لنا ما سبق ، وأيضا يوضح لنا ما جاء في الحديث، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : «كل نبي يُبعث في قومه خاصة وبُعثت للناس كافة» هٰذا مما عطاه الله واختص به نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، الأنبياء قبله كل نبي يُبعث في قومه، إلا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث للعالمين، بعث للناس كافة بشيرًا ونذيرًا .

((فقال موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، قال موسى: هل أتبعك على أن تُعلمني مما عُلِّمْتَ رُشدا ؟)) عند الخضر علم ليس عند موسى، ومن أين هٰذا العلم للخضر؟ آتاه الله عزَّ وجلَّ من لدنه علمًا، وهٰذا من جملة ما استدل به أهل العلم على أنه نبي من أنبياء الله ، ليس هناك آية أو حديث فيها التنصيص على نبوته ولكن هناك قرائن، وشواهد ودلائل يُستفاد منها ذلك، ولهٰذا ذكرت أنَّ ثَمَّةَ قول قوي لجماعة من أهل العلم بنبوة الخضر عليه السَّلام

وأنه من أنبياء الله، وإذا تقرّرت نبوته بالأدلة والشواهد من الكتاب والسنة فهٰذا من الأمور التي يستفاد منها أيضًا في إبطال الشبهة المدَّعاة ، لأنّه نبي له وحي خاص كما أن موسى نزل عليه وَحْيٌ خاص، فموسى مأمورٌ بالتزام الوحي الذي أُنزل عليه، والخضر مأمورٌ بالتزام الوحي الذي أنزل عليه، والخضر عنده علم ليس عند موسى مما علمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياه .

قال: ((هل أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمْتَ رُشدا؟ قال: إنك لن تستطيع معيَ صبرا، يا موسى إني على علمٍ من علم الله عَلَّمَنيه لا تعْلمه أنت))؛ وهٰذه الكلمة لو قالها شخصٌ بعد مبعث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، لو قال "إني على علم من علم الله علمنيه الله لا يعلمه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" هٰذا يكون كافرًا ويكون مُدَّعِي دعوة كاذبة فاجرة، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كما في الصحيح: «إن أعلمكم بالله وأخشاكم لله أنا» فليس هناك أحد أعلم بالله منه، فهو أعلمُ عباد الله بالله، وأعظمهم خشيةً لله وطاعةً له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فلو قال هٰذه الكلمة قائل أو ادَّعاها مُدَّعي فهو كاذب، وهي كفر لأن هٰذا تَفَلُّتٌ من دين النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ومن شريعته الناسخة للشرائع التي كانت قبل محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه ، أما الخضر قالها عن علم من الله جلَّ وعلا آتاه الله إياه، علَّمه الله إياه .

فقوله لموسى: ((إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم عَلَّمَكَهُ لا أعلمُهُ)) ؛ هٰذا مما استدل به أهل العلم على أن موسى عليه السلام له شريعة وعلم من الله علمه الله إياه، والخضر له شريعة علَّمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إيَّاها لا يعلمها موسى عليه السَّلام .

قال: ((إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم عَلَّمَكَهُ لا أعلمُهُ، قال: ستجدني إن شاء الله صابرا)) ؛ وهٰذا فيه حرص موسى مع مكانته العظيمة وكونه كليم الله على العلم، ورحلته في طلب العلم، وحرصه عليه، وتَلَقِّيهِ للعلم عمّن هو دونه في الفضل، لأنّ موسى عليه السَّلام أفضل من الخضر، وهو من صفوة وأولي العزم من رسل الله، وهم خمسة كما تقدم، ومع ذلك رحل هٰذه الرحلة في طلب العلم وتحصيله على الخضر .

قال: ((ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة)) يمشيان على الساحل ليس لهما سفينة يركبانها إلى الشط الآخر ((فَمرَّت بهما سفينة، فكلموهما أن يحملوهما، فَعُرِفَ الخضر –عرف أصحاب السفينة الخضر– فحملوه بغير نَوْل)) يعني بدون مقابل، فحملوهما بغير نَوْل، والنَّوْل هو العطاء، ((فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نُقرةً أو نُقرتين في البحر)) يعني أخذ بمنقاره نقرة أو نقرتين من البحر الواسع العريض ((فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هٰذا العصفور في البحر)) ومعلوم أن نقرة أو مِخْيَطْ يُغمس في البحر لا يخرج بشيء، ولا ينقص من البحر شيئًا .

قال: ((فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه)) أي خَرَق في السفينة خَرْقًا؛ جعل في السفينة عيبًا، فتعجّب موسى عليه السَّلام من هٰذا الصّنيع، يعني هؤلاء أحسنوا إليهم ونقلوهم بدون نول ثم يَعْمَد الخضر إلى لوح من السفينة وينزعه!! يعني يجعل في السفينة خَرْق.

((فقال موسى قومٌ حملونا بغيرِ نولٍ عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معيَ صبرا ؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت)) يعني أن هٰذا الذي وقع من موسى كان عن نسيان للاتفاق الذي بينه وبين الخضر، «قال: لا تؤاخذني بما نسيت» يعني نسيت الاتفاق الذي دار بيننا قال: ((فكانت الأولى من موسى نسيانًا)) يعني نسى الاتفاق الذي دار بينهما فقال هٰذه الكلمة عليه السَّلام.

((فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضرُ برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده)) غلام بين الغلمان جاء إليه الخضر ومسك رأسه واقتلعه من بدنه ((فقال موسى: أقتلت نفسًا زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبرا؟))، في المرة الثانية اعتذر كما جاء في الآية بأنه لن يعود لمثل هٰذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[الكهف:٧٦] ، يعني المرة الأولى اعتذر بالنسيان والمرة الثانية قال: اعتبرها الأخيرة إن تكرر مني لا تصاحبني .

((فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضَيِّفُوهُمَا، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه)) فأقامه الخضر بيده ، يعني باشر الخضر إقامة الجدار الذي أراد أن يَنْقَض بيده، مع أن القوم لم يُضَيِّفُوهُمَا !! ((فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا)) يعني تطلب منهم أجر مقابل إقامتك لهٰذا الجدار ((قال: هٰذا فراق بيني وبينك)) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا لو صَبَرْ حتى يُقصَّ علينا من أمرهما)) يعني مزيدًا من الأخبار قال: « يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا لو صَبَرْ » .

الشاهد: أن هٰذا الذي حصل للخضر هٰذا علم لَدُنِّي من الله ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف:٦٥] أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن أنه آتاه علما من لدنه ، وهو وحيٌ من الله عليه، فهو يعمل بوحي وهٰذه الأعمال التي استنكر موسى ظاهرها عليه السَّلام لما بيَّن له الخضر بما أوحاه الله إليه الأسباب التي لأجلها فعل تلك الأفعال، اتضح لموسى الأمر وأن أعمال الخضر كلها كانت على صواب وعلى سداد وعلى حق، لكن ظاهرها كان عنده استنكار لها واعتراض عليها، ولهٰذا كلَّم الخضر في كل موقف بما يتعلق بذلك الموقف، لكن فيما بعد لما شرح له الخضر ونَبَّأَهُ بالأمور التي لم يستطع عليه السَّلام عليها صبرا تبين له الأمر.

فالشاهد: أن الخضر عليه السَّلام كان يعمل بوحي مُنَزَّلْ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه مثل ما أن موسى عليه السَّلام كان يعمل بوحي مُنَزَّلْ من الله تبارك وتعالى عليه، وهٰذا الأمر حصل للخضر وكان في زمن موسى، والخضر تُوفي عليه السَّلام مثل ما أن أيضًا موسى تُوفي . وجاء في حديث صحيح صريح أنه ((ما من نَفْسٍ

مَنْفُوسَة على وجه الأرض -يعني في زمانه- يأتي عليها مائة سنة إلا وتموت)) ؛ فلو قُدِّر أن الخضر باقيًا في زمن النبي عليه السَّلام للزمه أن يأتيه وأن يأخذ عنه شريعته لأنه مثل ما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ((لو كان موسى حيًا ما وَسِعَهُ إلا اتباعي)) ، ومع هٰذا الحديث والدلائل الواضحة مع ذلك يَدَّعي أقوام إلى الآن أن الخضر له وجود وأنهم يتلقون عنه مباشرة!! وهٰذه أيضا طريقة من طرائق ترويج أهل الباطل للباطل، فإذا قيل له: من أين هٰذه الأعمال؟ قال التقيت بالخضر، أو التقى أشياخنا بالخضر وقال لنا كذا وكذا. هٰذا كله من الشيطان ، وإن كانوا التقوا بشخص أخبرهم بأشياء فهو شيطان مَريد أراد بهٰذه الطريقة أن يحرفهم ويصدهم عن سواء السبيل .

الشاهد: أن من يقرأ قصة الخضر عليه السّلام في القرآن في سورة الكهف ويقرأها في صحيح البخاريّ وغيره يدرك أن الذي كان عليه الخضر وحيٌ من السّماء أقرَّهُ موسى عليه، أما بعد مبعث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فمن ادَّعى أن عنده علم لَدُنِيّ يسعه به أن يخرج عن شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مثل ما وسع الخضر فهو كافر خارج من ملة الإسلام، موسى عليه السَّلام أقر الخضر فيما وسِعه من أمور ليست في شريعة موسى وهي وحي من الله، وأقره موسى عليه السَّلام ، أما نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أخبر أنه بُعث للناس كافة، وأخبر أنه لا يسع أحد ولو كان نبيًا من الأنبياء لا يسعه بعد مبعثه أن يتبع غير شريعته، والخضر نفسه عليه السلام في زمن موسى كان يسعه الخروج على شريعته . لكن لو قُدِّرْ وجود الخبر وبقاء الخبر إلى زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فبعد مبعث النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لا يسع أحد لا الخضر ولا موسى ولا غيرهما من أنبياء الله وصفوة الخلق ، لا يسع أحد أن يتبع غير شريعة النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

خلاصة القول: أن الدين عند الله الإسلام ؛ الذي بعث به نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يقبل دينًا سواه مهما ادَّعى مُدَّعي وتَقَوَّل مُتَقَوِّلٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥].

وأيضا أؤكد على ما سبق التنبيه عليه ألا وهو أن هٰذه الطريقة أصبحت حيلةً ماكرة لأرباب الضّلال لترويج باطلهم، إما بدعوى أنهم التقوا بالخضر وأخذوا عنه تلك الأعمال، أو بدعوى أنهم مثل الخضر يسعهم ما وسع الخضر، الخضر وسعه أن يخرج عن شريعة موسى عليه السَّلام ، وادَّعوا لأنفسهم أنهم يسعهم أن يخرجوا عن شريعة محمدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ومن اعتقد لأحدٍ كائنًا من كان أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السَّلام فهو كافر . وهٰذا الذي ذكره شيخ الإسلام قرّره أهل العلم قبله واستشهدوا له بالشّواهد العديدة والدّلائل المتنوّعة .

ونقف إلى هٰذا الحدّ، والله تعالى أعلم ، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

شرح نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الدرس الحادي عشر

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٠/٠٧/٠٨ هـ

الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له في كتاب (نواقض الإسلام):

العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِض بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ والخَائِفِ إِلَّا المُكْرَه، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا؛ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

****

هٰذا هو الناقض العاشر من النواقض العشرة للإسلام التي جمعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نصحًا وتحذيرا؛ وهو «**الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ**»؛ الإعراض الكلي عن الدين بحيث تكون حال الإنسان مع دين الله أنه لا يأبه بالدين ولا يهتم، يعرِض عن الدين من جهة التعلم والمعرفة بهٰذا الدين، ويُعرض عن الدين من جهة العمل فلا يعمل به ، فمن كان على هٰذه الحال معرضًا عن الدين الذي خُلق لأجله ووُجد لتحقيقه، «لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ» ؛ لا يتعلمه أي لا يتعلم أصول الدين التي عليها قيامه، ولا يتعلم أحكام الشريعة وفرائض الإسلام وواجبات الدين، لا يتعلم ذلك مُعرضا عن ذلك كله، وكأن الدين شيء لا يعنيه، فلا يبالي به ولا يهتم، لا من جهة العلم ولا من جهة العمل، مثل هٰذا يُقال عنه متحلل من الدين، أو مُنحل عن الدين، بسبب الإعراض التام منه عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من جهة العلم والعمل فهٰذا كفر، ويسمى هٰذا النوع من الكفر «كفر الإعراض»، أي أن صاحبه مُعرض عن الدِّين. فهٰذا النوع من الكفر يسمّى «كفر الإعراض» لإعراض صاحبه عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يتعلمه ولا يعمل به، بمعنى أنّ الدين ليس داخل في اهتماماته، وليس من الأمور التي هي محلّ عنايته، إعراضٌ تامٌ عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن كان بهٰذه الصِّفة وعلى هٰذه الحال فهو كافر ، لأنّ الدين الذي خُلق لأجله وأوجد لتحقيقه لا يعنيه شيئا ولا يهتم به تعلُّما ولا عملًا .

وذكر رحمه الله تعالى الدليل على هٰذا الناقض وهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢] ؛ فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنّ من كان بهٰذه الصفة مجرم ،

وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينتقم من المجرمين بالعقوبة الغليظة والنكال الشديد؛ وهٰذا إجرام فضيع، وإن كان من ضلّ عن الهدى وسلك سبيل الهلاك والردى لا يحس بأن هٰذا من أعظم الإجرام وأشنعه.

وكلمة «الإجرام» و«المجرم» و«المجرمين» في أذهان كثير من النّاس تحدَّدت في أنواع من الذنوب الكبار كالعدوان، كقطع الطريق، كالتسلط على الناس في أموالهم.. تحدّدت في هٰذه المعاني، بينما الإعراض عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يتعلَّم الدِّين ولا يعمل به هٰذا إجرام من أشنع الإجرام ومن أفظعه؛ بل إن هٰذا النوع من الإجرام يتولد عنه أنواع الإجرام الأخرى، أنواع الجرائم الأخرى تتولد عن ذلك، لأن الإنسان إذا انحلّ من الدين ولم يكن عنده دين يضبطه في سلوكه ، في عمله، في معاملاته، فإنه سيمارس أنواعًا من الإجرام، فالدين يضبط الإنسان ؛ لأنه إذا وجد عنده الدين، وجدت مخافة الله مراقبته، طلب أجره، الخوف من عقابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . أما المعرض عن دين الله فهو معرض عن الثواب، عن العقاب، معرضٌ عن الجزاء، معرض عن المراقبة، والخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كل هٰذه المعاني معرضٌ عنها، بينما إذا اهتم أو وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للاهتمام بهٰذا الدين وشرح صدره لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى استقامت أحواله الأخرى بحسب حظه من الاستمساك بهٰذا الدين والاستقامة عليه.

لهٰذا ينبغي أن يُعلم أن الإعراض عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يتعلمه ولا يعمل به جريمة من أكبر الجرائم وأشنعها وأفظعها؛ بل هي من أعظم أسباب فشو الجرائم الأخرى وانتشارها في المجتمعات؛ فإنّ المجتمع الذي يكثر فيه إعراض أهله عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يتعلّمونه ولا يعملون به تفشو فيه الجرائم وتنتشر فيه أنواع الرذائل والخسائس، ويكثر فيه الظلم والبغي، ويقِلّ فيه الأمن ويكثر فيه العدوان ، بينما إذا أقبل النّاس على دين الله عزَّ وجل صلُحت حالهم في كلِّ باب، وتحقق لهم الأمن والطمأنينة والسعادة، كما قال الله عزَّ وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[طه:١٢٣] أي: يسعد . فالدِّين يترتب على وجوده وجود السعادة والأمن والطمأنينة، وذهاب الدِّين بالإعراض عنه يترتّب عليه فساد المجتمعات، وذهاب الأمن ، وحلول الخوف، وكثرة الجرائم.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾؛ أي يتلقى التذكير بآيات الله عزَّ وجل بالإعراض التام عمَّا يُذكَّر به من جهة التعلم، فلا يلقي بالًا لتعلم الدين ومعرفته ، ومن جهة العمل لا يلقي أي اهتمام للعمل بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فمن كان بهٰذه الصفة فإنه كافرٌ كفرًا أكبر، وفعله هٰذا ناقض من نواقض الدِّين ، ويسمى هٰذا النوع من الكفر كما قدمت «كفر الإعراض»؛ لأن الكفر أنواع: منه كفر الشك ، وكفر النفاق ، وكفر التكذيب ، ومن أنواعه كفر الإعراض هو ناقض من نواقض الإسلام.

ثم ختم المصنف رحمه الله تعالى كلامه على هٰذه النواقض العشرة للإسلام ببيان أنه لا فرق في هٰذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره؛ يعني لا فرق بين أن تقع هٰذه الأمور من الشخص من باب الهزل لا من باب

الجد، أو أن تقع منه جادًا فيها، أو أن تقع منه خائفًا، فلا فرق بين ذلك، كل ذلكم ينتقض به الإسلام . فمن وقع في شيء من هٰذه النواقض هازلا، يعني فعل شيئا من هٰذه النواقض من باب الهزل لا من باب الجد، فهٰذا يكفر؛ لأن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس فيه هزل، دين الله جدٌ لا هزل فيه، فمن هزل بشيء من دين الله، أو فعل شيئا من الأمور التي تنقض الإسلام ويقول: فعلتُ ذلك هازلًا أو فعلتُ ذلك مازحًا، مثل : أن يستغيث شخص بغير الله، "مدد يا فلان، أدركني يا فلان، أنا عائذ بك يا فلان" فلما أُنكر عليه قال: أنا أمزح، لست جادا. أو مثلا شخص استهزأ بشيء من دين الله. وعرفنا أن من نواقض الدين الاستهزاء ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة:٦٥] استهزأ بشيء من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقال: لست جادا وإنما أمزح من باب المزاح والهزل، أو أيَّ ناقض آخر من نواقض الإسلام ارتكبه وقال: إني فعلتُ ذلك من باب الهزل لا من باب الجد؛ فهٰذا ناقض من نواقض الإسلام، لأنّ دين الله جد.

والهزل بالدين أو تعاطي بعض الأمور التي تناقض الدين من باب الهزل ، أو الهزل أيضا بشيء من أصول الدِّين وأمور الإسلام وشرائعه ؛ هٰذه كما قدَّمتُ سابقا تدل على أن هٰذا الذي يقع منه هٰذا الهزل ليس عنده الموافقة والقبول لهٰذا الدين ، لأن الموافقة والقبول لا يترتب عليها وجود الهزل، وإذا كان الشَّخص هازلا فسيكون أبعد ما يكون أن يكون هزله في شيء من دينه، لأنّ دينه أثمن شيء عنده وأغلى شيء يملكه، لا يمكن أن يجعل دينه محلًّا للهزل، فوجود الهزل بالدِّين أو الهزل بالأمور التي تنقض دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هٰذه إنما تقع من الإنسان بسبب وجود شيءٍ من المعارضة للدين وعدم الموافقة . أما الموافق لهٰذا الدِّين المستسلِم المنقاد المذعن المسلم وجهه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يمكن أن يجعل دينه أو شيئا من دينه محلًّا للهزل، وإذا هزل بشيء لا يهزل بدينه؛ لأن دينه أثمن شيء عنده وأغلى شيء يملكه، فوقوع الإنسان في شيء من هٰذه النواقض ولو من باب الهزل كفر ناقل من ملة الإسلام.

قال: «**وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَٰذِهِ النَّوَاقِض بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ**» ؛ والجاد واضح كفره، من يفعل شيء من هٰذه النواقض جاد في ذلك يعني مقتنع فيها ، ورضيها لنفسه، واجتهد في أن يكون من أهلها ؛ فهٰذا لا شك أنه كافر كفرًا مبينًا ناقلا من ملة الإسلام .

قال: «**والخَائِفِ**» أي من فعل شيئًا من هٰذه النّواقض خوفًا، إما مثلا: خوفا على مالٍ ، أو خوفا على تجارة، أو خوفا على رئاسة، أو خوفًا على وَجاهة، أو خوفًا على دنيا يحصِّلها أو غير ذلك، أو غير ذلك ، فإذا فعل شيئا من هٰذه النواقض من باب الخوف فإنه يكفر، لأنه قدَّم خوفه على هٰذه الأشياء الدنيوية على دينه وصارت هي المقدمة على دينه، يضيع دينه وتذهب أصوله ويقع فيما ينقضه، وتسْلَم له دنياه، أو تسلم له رئاسته، أو يسلم له ماله، أو يسلم له جاهه.. أو غير ذلك ؛ فهٰذا ناقض من نواقض الإسلام .

من وقع في شيء من هٰذه النواقض من باب الخوف، مثل أن يخاف على رئاسةٍ حصَّلها ، أو مالٍ اكتسبه أو ينتظر أن يكتسبه، ويخاف من شخص فوقه إن لم يطاوعه في فعل شيء من هٰذه النواقض أن لا يُحصِّل تلك الرِّئاسة أو يحرم منها، أو لا يُحصِّل ذاك المال أو يحرم منه، أو لا يحصِّل ذلك الجاه أو يحرم منه، أو نحو ذلك، إذا كان كذلك فإنه ينتقض بذلك دينه، ولو كان فعل ذلك خوفا على هٰذه الأشياء، وفعله ذلك خوفًا على هٰذه الأشياء دليل على أنها هي المقدمة عنده على الدين ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾[التوبة ٢٤] إذا كانت هٰذه الأشياء هي المقدمة عنده وخوفه عليها، لا يبالي أن يرتكب لأجله ناقضا من نواقض دين الله عز وجل فمثل هٰذا لا يُعذر بهٰذا الخوف.

قال: «**إِلَّا الْمُكْرَه**» يعني الذي يُكره على فعل شيءٍ من هٰذه النواقض عن غير اختيارٍ منه ولا رغبة ولا انشراح صدر، بل يُلجأ إليها إكراهًا وإرغامًا ؛ بأن يقول كفرا أو يفعل كفرا إرغاما وإكراهًا له على ذلك ، فمثل هٰذا لا ينتقض دينه بالإكراه حتى ولو قال الكفر أو فعل الكفر، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦] ، لم يستثن تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلا المكره، ممن قال الكفر أو فعل الكفر لم يستثني إلا المكره قال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ ؛ فمن وقع الكفر أو فعل الكفر مكرهًا، وأيضا بشرط أن يكون الصدر منشرح بالإيمان لا أن يكون عند الإكراه يمارس الكفر وينشرح صدره بالكفر؛ بل بهٰذا الضَّابط، يعني يفعل الكفر مكرهًا عليه ويكون في الوقت نفسه قلبه كاره لذلك مبغض له، ويكون أيضًا قلبه مطمئن بالإيمان لكن يمارس في الظاهر القول الكفر أو العمل الكفر إكراهًا عليه وإرغاما تحت وطأة السيف والتهديد بالقتل، أو الحرق بالنَّار ، أو نحو ذلك، فإذا أكره على الكفر ففعله مكرهًا عليه فإنه يُعذر. أيُّ ناقض من نواقض الإسلام يقع فيه مكرهًا على ذلك فإنه يعذر، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في بيان ذلك: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾، لابد من هذين الأمرين في كونه معذورا:

- الأول: أن يكون قد أُكره فعلًا على ذلك.
- والأمر الثاني: أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان.

ثم أنهى رحمه الله كلامه على هٰذه النواقض العشرة بالتأكيد على أهميتها وعظم شأن العناية بها، وأن العناية بها معرفةً ومدارسةً من الضروريات المهمَّة؛ لأن اتقاء الباطل لا يكون إلا بعد معرفة الباطل، كما قيل قديما: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!» ، فكيف تُتَقى نواقض الدين من الذي لا يعرف أن الدين ينتقض بها!! أو لا يعرف ما هي الأمور التي ينتقض بها دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى !!

فمعرفة هٰذه النواقض من الضروريات والأمور المهمة، وقد قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تُنقَضُ عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية» ؛ إذا كان الإنسان لا يعرف الجاهلية، لا يعرف الأمور المبطلة للدِّين، لا يعرف محبطات الأعمال قد تدخل عليه في أعماله وفي حياته وهو لا يدري بذلك، ولهٰذا معرفة هٰذه النّواقض من الأمور المهمة والعظيمة .

وقد نبه الشيخ رحمه الله تعالى على أهمية معرفة هٰذه النّواقض من وجوه ختم بها رحمه الله تعالى رسالته هٰذه:

الوجه الأول: أن هٰذه النواقض من أعظم ما يكون خطرا ؛ يعني من أخطر الأشياء وأضرها، ومن المعلوم أن الأخطر من الأشياء التي تضر بالإنسان الضرر البالغ يُعتنى بمعرفتها ومعرفة الأسباب الواقية منها أكثر من غيرها، واعتبروا بذلك بالأمراض وتفاوتها ؛ عندما يوجد في مجتمع من المجتمعات مرض خطير ومعدِي، وسريع الانتشار، ويميت في الغالب، أضراره على الإنسان في صحته بليغة جدا، إذا وُجد مرض بهٰذه الخطورة، كيف يكون حال الناس معه؟ وخذوا مثالا على ذلك قريبًا انفلونزا التي تسمى انفلونزا الخنازير، كيف أصبح العالم كله ارتج! ويعني أصبحت تعمل مؤسسات وشركات وخلق للبحث عن وسائل العلاج والتحذيرات والتنبيهات، لأن الأمر كلما كان أخطر تزيد العناية به . فمن هٰذا الوجه ينبه الشيخ، يقول: هٰذه من أعظم ما يكون خطراً، فهي خطيرة جدًا. والشرك وهٰذه النواقض ضررها على الإنسان في هلاك دينه، وفساد دنياه وأخراه، ضياع الدنيا والآخرة بضياع الدِّين، أما الأمراض تلك وهي ممّا يحرص المسلم على اتقائها وبذل الأسباب للتوقِّي منها بالطب الوقائي وأيضا العلاج فيما لو ابتلي الإنسان بشيء من ذلك أو بمقدماتٍ لتلك الأمراض، الإسلام جاء بهٰذا وهٰذا، جاء بالطب الوقائي وأيضا جاء بالطب العلاجي؛ الوقائي للمرض قبل وقوعه ، والعلاجي المرض بعد وقوعه جاء الإسلام بهٰذا وهٰذا، وفي الحديث ((مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ ، وَلاَ سِحْرٌ)) هٰذا من باب الطب الوقائي ، الأذكار أيضا الشرعية ((لا يضره شيء)) هٰذه بإذن الله كلها واقية ودافعة للأسقام والأمراض . والدعوات المأثورة، وأيضا مراعاة التغذية النافعة والبعد عن الغذاء الضار أو الإفراط في الغذاء، هٰذا كله من باب الوقاية ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ)) هٰذا فيه وقاية للإنسان من الأمراض . فالإسلام جاء بالطب الوقائي، وجاء أيضا بالطب العلاجي، ومن يقرأ كتاب «الطب النبوي» للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى يجد الفوائد العظيمة من خلال هدي دين الإسلام وما جاء عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في هٰذا الباب العظيم.

فالشاهد أن اتقاء الشرك واتقاء نواقض الإسلام ينبغي أن يكون عند الإنسان مقدمًا على اتقاء هٰذه الأمراض، وإن كانت كلها تُتقى لكن الشرك أخطر وضرره أعظم ؛ لأن المرض مهما كبر مضرته على البدن . ثم من جهة أخرى إذا ابتُلي الإنسان بشيء من هٰذه الأمراض واحتسب ذلك عند الله جل وعلا كانت أمراضه كفارةً له ورفعة عند الله جلّ وعلا، ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)) ، فهٰذه الأمراض تكون كفارة ورفعةً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد يكون له درجة في الجنة لا يبلغها إلا بمصيبة يصاب بها في الدنيا يصبر عليها ويرضى بها فيبلغ بها الرّتب العالية، فتكون هي في حقه كفارة ورفعة . لكن وجود الشرك، وهو مرض من أخطر الأمراض؛ بل هو أخطر الأمراض وأشنعها أو وجود هٰذه النواقض، هٰذه كلها أمراض وهي أخطر الأمراض وأشنع الأوبئة وأشد الأسقام ضررًا على الناس، فخطورتها بالغة، فالشيخ نبّه أولا على خطورة هٰذه النواقض ، نبه على أهمية العناية بمعرفة هٰذه النّواقض معرفة لها ودراية بها من جهة أنّها أخطر ما يكون، هٰذا من النّاحية الأولى .

- الناحية الثانية : نبّه على أهمية العناية بها من جهة كثرة وقوعها؛ يعني أنها تقع بكثرة تقع بكثرة وتنتشر في الناس بكثرة، فكونها تقع بكثرة وتنتشر بكثرة هٰذا ممّا يجعل على الإنسان يخاف من هٰذه النواقض، فهي أمور تقع وتنتشر في الناس لها دعاتها، لها مروّجوها، لها من يزينها للناس بالباطل، لها من يثير الشبهات التي تروّجها في الناس وفي أوساط الناس، لها من يستغل الحوادث والأحداث والأمراض التي تقع في الناس لربطهم بغير الله وإيقاعهم في الشرك والكفر، وإتيان السحرة والكهنة والتعلُّق بغير الله دعاءً ورجاءً وسؤالا، فتنتشر؛ فهٰذا مما يخيف، مما يدعو إلى الخوف من هٰذه الأشياء والحذر منها أنها تنتشر، ولهٰذا نبه الشيخ على أهمية العناية بدراسة هٰذه النواقض ومعرفتها من جهة أنها من أكثر ما يكون وقوعا، أي تقع في الناس بكثرة .
- كذلك يستفاد من كلامه رحمه الله عن كلامه عن هٰذه النواقض وذكره الأدلة عليها ؛ مما يعين الإنسان على مزيد العناية والاهتمام بهٰذه النواقض : أن العقوبة التي أعدّها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمرتكبي هٰذه النواقض أعظم العقوبات، فهٰذه النواقض هي الذنب الذي لا يُغفر، ومن مات على شيء من هٰذه النواقض ولقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له يوم القيامة إلا النار خالدًا مخلدا فيها أبد الآباد ، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[فاطر ٣٦]، فمن مات ولقي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بشيء من هٰذه النواقض ليس أمامه يوم القيامة إلا النّار، بل ليس بينه وبين النار إلا أن يموت فقط، ليس بينه وبين النار إلا أن تخرج روحه من جسده، كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : ((من مات وهو يدعو من دون الله

ندًّا دخل النار)) ، فليس بين المشرك أو المرتكب لهٰذه النواقض أو لشيء منها ليس بينه وبين النار إلا أن يموت، فالنار قريبة من المشرك، كما أن الجنة قريبة من المؤمن الموحد، نسأل الله الكريم من فضله، فالجنة قريبة من المؤمن ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت، والقبر روضة من رياض الجنة للموحد صاحب الإيمان؛ فهٰذا أيضا مما يبين خطورة هٰذه النواقض.

إذا قرأت أيضا في القرآن صفوة الخلق وخوفهم من الكفر وخوفهم من الشرك بالله ودعائهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيذهم من الكفر وأن يعيذهم من الشرك وأن يجنبهم الشرك، هٰذا مما يدعو أيضا إلى الخوف الشديد من الشرك ، والخوف من مثل هٰذه النواقض ، فإمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام الذي حطم الأصنام بيده قال في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]، قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم!». فهٰذا أيضا مما يستوجب معرفة هٰذه النواقض، والخوف منها وكراهية الوقوع فيها ، والبغض لها ولأهلها وفاعليها، وسؤال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الثبات على الحق، والسّلامة والوقاية من موجبات غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأليم عقابه.

ولهٰذا ختم رحمه الله تعالى بهٰذه الدعوة، قال: «**نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ**»؛ لأن هٰذه الأعمال أو النواقض التي ذكرها رحمه الله تعالى من أعظم موجبات حلول الغضب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الإنسان ، فيعرفها العبد ويحذر منها ويتعوذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من ذلك.

والتعوّذ بالله نعوذ بالله من موجبات غضبه؛ هو التجاء إلى الله واعتصام به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيذ الإنسان من الكفر ، وأن يعيذه من كل أمر يوجب غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسخطه، وقد كان نبينا كما جاء في الأدب المفرد للإمام للبخاري بسند جيد، كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كل يوم إذا أصبح وإذا أمسى يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت» يقولها ثلاثا إذا أصبح، ويقولها ثلاثا إذا أمسى، في كل صباح يتعوذ بالله ثلاث مرات من الكفر، وفي كل مساء يتعوذ بالله من الكفر ثلاث مرات ، وجاء في الأدب المفرد وغيره عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنه قال: ((لَلشِّرك فيكم أخفى من دبيب النمل)) ثم علمهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ دعاء عظيما في هٰذا الباب، وهو أن يقول المسلم: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»، ففيه التعوذ بالله من الشرك، وجاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في باب التعوذ «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء». فالمسلم لا غناء له عن الاستعاذة بالله جل وعلا والاعتصام به والالتجاء إليه، أن يحميه من هٰذه وأن يُبَغِّضَها إلى قلبه، وأن تكون أكره شيء إليه؛ وهٰذا كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله عزَّ وجل في سورة الحجرات: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

﴿الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ ، أي هٰذا التحبيب للإيمان والتزيين له، تزيين القلب به والتكريه للكفر والفسوق والعصيان هٰذا كله منّة من الله.

فالعبد بأمس الحاجة إلى أن يلجأ دائما وأبدًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يهديه صراطه المستقيم، وأن يثبّته على دينه القويم، وأن يعيذه من الزيغ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[آل عمران:٨]، وأن يجنّبه الظلال وسبيل الضَّالين، وفي الدُّعاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بل كان من أكثر أدعيته «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وكان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كل مرة يخرج من البيت ويرشد إلى ذلك يقول: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أَو أزل أو أُزل..» إلى آخر الدعاء، والأدعية المأثورة عنه في هٰذا الباب كثيرة، وكلها تأكد أهمية التعوّذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الضلال، التعوّذ بالله من الكفر، التعوذ بالله من الشرك، التعوّذ بالله من مثل هٰذه الأمور التي ينتقض بها دين العبد.

ويُعلم من خلال ما تقدم : أن العبد يحتاج في هٰذا الباب إجمالا ، يعني للوقاية من هٰذه النواقض يحتاج أمرين:

١. الأمر الأول: يحتاج إلى بذل الأسباب ، وبذل الأسباب تكون بمعرفة هٰذه النواقض ، ومعرفة خطورتها والوقوف على أدلتها و عقوباتها التي أعدّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأهلها ،والحذر منها ومجانبتها والمباعدة عنها، هٰذا كله داخل تحت بذل الأسباب المطلوبة من العبد.

٢. والجانب الثاني: الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالدعاء بأن يعيذ العبد من هٰذه الأمور وأن يقيه إياها وأن يعافيه من الوقوع فيها وأن يسلِّمه من الزيغ.

فهو بحاجة إلى هذين الأمرين ، وقد ذكرهما عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في قوله: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله)).

ثم ختم المصنف رحمه الله الرسالة بالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نسأل الله الكريم أن يجزي هٰذا الإمام وأئمة المسلمين خير الجزاء على هذه الجهود المباركة والأعمال المبرورة نصحًا لدين الله وتحذيرًا لعباد الله، ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعيذنا من الشرك ومن الكفر ومن النفاق ومن الفسوق، وأن يعيذنا من منكرات الأهواء والأخلاق والأدواء، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات،

نسأل الله الكريم لنا ولكم التوفيق والسداد والعون على كل خير. والله أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .